

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد عُمان عند الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي



د/ طه حسين عوض هُدَيْل
أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك
كلية التربية - جامعة عدن

المقدمة:

إن المتطلع للتاريخ العُماني الاجتماعي والاقتصادي يلاحظ أن هناك كثير من المؤلفات التي كُتبت فيه، وفيما شاهده من أحداث، وما قام به أهل عُمان من أعمال تُبين لنا المستوى الحضاري والفكري الذي وصلوا إليه ليس على مستوى المنطقة؛ بل وعلى مستوى الشعوب التي ارتبطوا معها بعلاقات مختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية، وقد وثقت المؤلفات التاريخية سيرة حياة هذا الشعب، ومنجزاته، وتاريخه، فتنوعت بين مؤلفات تاريخ عام، وسير وتراجم، وتاريخ خاص وغيره، فشكَّلت تلك المؤلفات مادة غنية استقى منها أهل عُمان أصالتهم التي ميزتهم عن بقية الشعوب الإسلامية، ومن خلال بحثنا في الوثائق التي أرخت لعُمان وغيرها من البلاد الإسلامية، وجدنا أنه كان لمؤلفات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين باع في هذا الجانب، إذ شكَّلت مؤلفاتهم مادة غنية من الصعب الحيد عنها، أو إهمالها لما فيها من معلومات مهمة بينت لنا العديد من الجوانب المبهمة من التاريخ العُماني، فكانت رافداً عظيماً يمكن أن تستقى منه كثير من الحقائق عن تاريخ هذا الشعب، وما تميز به من أمور أبرزتها في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

ومن هنا جاءت فكرة كتابة هذا البحث المعنون ب: " الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد عُمان عند الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي "، لتتعرف على ما جاء به هؤلاء من أخبار في مؤلفاتهم، التي تعد اليوم من أهم المصادر التي كتبت عن تاريخ عُمان، والتي من الصعب على أي باحث أن يتغاضى عنها، وعمّا أوردته من معلومات عن بلاد عُمان، ولتحقيق الهدف المنشود قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسة، تناولت في المبحث الأول دراسة تاريخية لأهم الرحالة والجغرافيين المسلمين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وما جاء به هؤلاء من معلومات عامة عن عُمان وتاريخها، ودرست في المبحث الثاني ما وثقه المؤرخون من الرحالة والجغرافيين اجتماعياً عن عُمان وأهلها، وجذورهم التاريخية القبلية، وأماكن سكنهم واستقرارهم، ووضعهم، ومشاركتهم في الحياة العامة، وخصصت المبحث الثالث للتعرف على ما أوردته هؤلاء عن وضع عُمان الاقتصادي، ومفاصل ذلك الاقتصاد المختلفة: التجارية والزراعية، مع الإشارة إلى أسواقها، وعلاقاتها بالعالم الخارجي، وأتمت بحثي هذا بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها.

سموعه، فضلاً عن الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، وهدفهم من وراء تسجيل مشاهداتهم عن عُمان، لما لذلك من أهمية في إثراء الموضوع، وفتح المجال أمام الباحثين والمهتمين بتاريخ عُمان، للتوسع في دراسة ما جاء به هؤلاء من معلومات، وإن كانت بسيطة في بعضها، ولكنها تعد اليوم مادة يمكن أن نسترشد بها في دراساتنا المستقبلية، في مختلف التخصصات العلمية التي تطرق لها هؤلاء الرحالة والجغرافيون.

◀ أهم الرحالة والجغرافيين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي:

حظيت عُمان كغيرها من البلاد الإسلامية باهتمام وعناية كثير من المؤرخين من الرحالة والجغرافيين الذين كان لهم إسهام كبير في مدنا بكثير من المعلومات والحقائق عن هذا القطر الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من هذه الأمة ذات التاريخ العريق، وقد حاولنا البحث والتقصي فيما وثق في كتب الرحلات والجغرافيا (البلدانيات) للوصول إلى أهم ما جاء به الرحالة والجغرافيون الذين أشاروا من قريب أو بعيد لعُمان، أو لأحد مدنها ومعالمها وتاريخها وثروتها وسكانها، وما إلى ذلك من الأمور التي وردت في مؤلفاتهم، في محاولة لجمع كل تلك المعلومات وقراءتها وتحليلها، والاستفادة منها في إغناء تاريخ عُمان بما تركه لنا هؤلاء من ثروة علمية، لولاها ما عرفنا شيئاً عن حضارة وتاريخ أهل عُمان، ومن خلال بحثنا واطلاعنا في كتب الجغرافيا والرحلات تمكنا هنا من رصد أسماء أهم تلك المؤلفات التي توفرت لدينا، وتدوينها بحسب سنة وفاة كاتبها، خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في محاولة للتعريف بها ومؤلفيها، وما قدموه عن عُمان وتاريخها، ليكون تمهيد ومدخل مهم لدراستنا هذه، ويعد المؤرخ والجغرافي أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله

◀ الرحالة والجغرافيين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وتاريخ عُمان:

شكلت المساحة الجغرافية التي تقع عليها بلاد عُمان اليوم واحدة من بين أهم مناطق العالم ذات المكانة الاستراتيجية، والموقع الهام عبر التاريخ، إذ كان لهذا الموقع الذي حبي الله تعالى به عُمان دور كبير في ربط عُمان بمراكز الثقل التجاري مثل: الهند والصين والشرق الأفريقي، وربط تلك المراكز ببعضها عبر عُمان نفسها، وانعاش التجارة الدولية، عن طريق دعم المسافرين والتجار وسفنهم بما يحتاجون إليه من مؤن تنوعت بين طعام وشراب وراحة، وإصلاح لسفنهم، وتزويدها بما تحتاج إليه، فضلاً عن رفق البلاد المحيطة بعُمان بكل ما تفرقت به عُمان من بضائع تجارية، وسلع شكلت في ذلك الزمان مصدر دخل مهم للعُمانيين، ونتيجة لكل تلك الأسباب حظيت بلاد عُمان كغيرها من البلاد الإسلامية باهتمام وعناية كثير من المؤرخين من الرحالة والجغرافيين الذين انبهروا بما فبدلوا جهودهم، وسخروا أوقلامهم فقط للبحث والتوثيق لما شاهدوه في رحلاتهم، أو سمعوه من غيرهم، أو قرأوه في مؤلفات من سبقهم من المؤرخين عن هذه البلاد الغنية بخيراتها، وقواها البشرية التي ذاع صيتها في بقاع الأرض، فضلاً عما تميزت به من قدرات مختلفة نحن بصدد دراستها، والتعريف بها في بحثنا هذا، من خلال مؤلفات الرحالة والجغرافيين الذين عاشوا في مدة الدراسة.

لقد حاولنا قبل الخوض في دراسة ما جاء في وثائق ومؤلفات الرحالة والجغرافيين المسلمين عن عُمان، رصد أسماء أهم هؤلاء ومؤلفاتهم في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي موضوع الدراسة، والتعريف بهم، وبدورهم في تدوين ما شاهدوه أو

البحار، وتأتي أهمية ما جاء به هذا الرحالة كونه دَوَّن كل مشاهداته التي كان قد عاشها بنفسه في أثناء رحلته، مبيناً لنا بشيء من التفصيل المستوى الذي وصل إليه بعض التجار العُمانيين، وما كسبوه من أموال، استثمرت أكثرها في الخارج، وصارت عماد للاقتصاد العُماني بمجرد دخولها الأراضي العُمانية، ودور الحكام في الحفاظ على هذه الأموال وأصحابها، فضلاً عما تتعرض له سفن العُمانيين من أخطار الرياح والعواصف الشديدة، وما يعترضها من سفن اللصوص والقراصنة، بما يعطي لنا صورة لبعض المعاناة التي كان يعاني منها أهل التجارة والبحر في عُمان⁽⁷⁾.

ويحدد المؤرخ الجغرافي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالأصطخري، المتوفى سنة 346هـ/957م، في كتابه: (المسالك والممالك)، موقع عُمان بالنسبة لبلاد العرب، مشيراً إلى أهم ما تميزت به عن غيرها من البلاد الإسلامية وغيرها، فضلاً عن وصفه لأجوائها، وذكره لأشهر مدنها، وأهميتها الجغرافية والاقتصادية، ومدى صعوبة طرقها البرية والبحرية، ومما يميز الأصطخري أنه تطرق في كتابه المذكور إلى شذرات من بعض الجوانب السياسية لعُمان خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وعلاقتها بالخلافة العباسية، التي كان من أهم أهدافها التوسعية الوصول إلى الأراضي العمانية، وإخضاعها لها⁽⁸⁾.

إلا أن أكثر المعلومات دقة ووفرة عن عُمان، وأهلها، وبعض مدنها، ومسالكها، وطرقها فقد مدنا بها المؤرخ والجغرافي والنسابة اليمني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، المتوفى سنة 360هـ/970م، الذي يعد أبرز مؤرخي وجغرافي مدة الدراسة، وقد يرى بعضهم بأن تلك المعلومات لا تتعدى أسطر قليلة في صفحات كتابه: (صفة جزيرة العرب)، ولكن عند مقارنتها بما جاء به جغرافيو القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ورحلاته، فإنها

المعروف بابن خرداذبة، المتوفى حوالي سنة 300هـ/900م⁽¹⁾، من أوائل الجغرافيين الذين ذكروا بلاد عُمان، في كتابه: (المسالك والممالك)، ورغم شحة المعلومات التي مدنا بها، لاسيما فيما يتعلق بموقعها، وارتباطها الجغرافي ببقية البلاد المحيطة بها، أو التي ارتبطت معها بعلاقات مختلفة⁽²⁾؛ إلا أننا أحببنا هنا الإشارة إليه، وإلى ما قدمه من أخبار مختلفة، علماً بأن ابن خرداذبة عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ووفاته كانت مع مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لهذا اعتمدنا عليه وعلى ما جاء به من معلومات، فذكرناه ضمن الجغرافيين الذين سنتحدث عما جاءوا به عن عُمان في بحثنا.

وفي الوقت نفسه، قدم لنا الرحالة أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي، المتوفى بعد سنة 330هـ/930م، في كتابه: (أخبار الهند والصين المعروف برحلة ابن السيرافي) معلومات مهمة، وإن كانت يسيرة عن بلاد عُمان، وبعض أهم مدنها مثل صحار⁽³⁾ ومسقط⁽⁴⁾، وعلاقتها التجارية مع بعض مراكز الثقل التجاري في ذلك الحين مثل: الهند والصين، وبعض الأمور المتعلقة بالبحر، والسلع التجارية التي كانت متداولة بين عُمان وبعض المراكز التجارية العالمية المجاورة لها⁽⁵⁾، ومن الملاحظ أنه كان لوصول السيرافي إلى عُمان في رحلته أثر كبير في ما دونه عن مشاهداته هناك، وهو ما يعطي لمؤلفه هذا أهمية خاصة، لاسيما أنه عاين كل شيء بنفسه، ويعد شاهد حي على كل ما رآه⁽⁶⁾، وبما قدمه السيرافي نستطيع إكمال فجوة وإن كانت بسيطة عن التاريخ العُماني.

ويمدنا الرحالة بزرك بن شهريار الناختاذاة الرام هرمزي، المتوفى سنة 342هـ/953م، في كتابه: (عجائب الهند بره وبحره وجزايره)، بمعلومات مهمة وقيمة عن الحياة التجارية التي ربطت عُمان بغيرها من البلاد، مثل: الهند والصين وفارس وغيرها عبر

عُمان، مشيراً إلى طرقها ومسالكها مع غيرها من البلاد المحيطة بها براً وبحراً⁽¹⁵⁾.

وبعدنا الرحالة الفارسي المجهول الهوية، صاحب كتاب: (حدود العالم من المشرق إلى المغرب)، المتوفى بعد سنة 372هـ/ 982م، بمعلومات مهمة عن عُمان، وإن كانت يسيرة، ويصفها بصفات قد لا نجدُها في الكثير من البلاد الإسلامية، فضلاً عن ذكره لبعض الأمور المتعلقة بتجارها مع غيرها من البلاد في أفريقيا وغيرها⁽¹⁶⁾، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً في مباحث الدراسة.

ويفصل الرحالة والجغرافي أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، المتوفى سنة 380هـ/ 990م، في كتابه: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، عند حديثه عن عُمان في ذكر مواقع مناطقها ومدنها التي برزت في ذلك الحين ويعدها، مشيراً إلى بعض الصفات التي تميزت بها تلك المناطق، وأثر ذلك في بروزها تجارياً، موضحاً ما كان يرد لها من سلع تجارية مختلفة، تنوعت مصادرها، والعملية التي كانت متداولة بها، وأنواع تومورها، وما يؤخذ منها من ضرائب، وقيمة ما يوصل بيت مال المسلمين منها سنوياً، وأهم السلع التجارية التي اعتمد عليها العُمانيون في دخلهم ومعيشتهم، ويعد ما قدّمه المقدسي عن عُمان ذا أهمية مقارنة بغيره، لاسيما وأنه زار عُمان ومناطقها المختلفة، ودوّّن كل مشاهداته في كتابه المذكور وبنوع من التفصيل، وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل لاحقاً⁽¹⁷⁾.

وفضلاً عن ذلك، فقد شكلت المعلومات البسيطة التي قدمها لنا المؤرخ الجغرافي الحسن بن أحمد المهلي العزيمي، المتوفى سنة 380هـ/ 990م، في كتابه: (العزيزي أو المسالك والممالك)، عن عُمان مادة مهمة تمكنا من الاستفادة منها في بحثنا هذا، لاسيما حول الأهمية التي احتلتها عمان في المنطقة

تعد جزيرة وذات أهمية، لاسيما وأن الهمداني استقى معظمها من مصدر موثوق به، وهو والده حسب قوله، إذ يقول عن مصدر معلومات كتابه المذكور: « قال لي أبي - رحمه الله تعالى - : قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعُمان ومصر ومكة، وأكثر بلاد النخل »⁽⁹⁾، مما يؤكد لنا أن الهمداني لم يزر عُمان، ومع ذلك يعد كتابه: (صفة جزيرة العرب) من المصادر الجغرافية المهمة للدراس في تاريخ عمان، علماً بأن ما جاء به الهمداني عن قبائل عُمان وما تفرع عنها يشكل رافد مهم للمعلومات عن عُمان وسكانها الأوائل.

ويقدم الرحالة والجغرافي أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق ابن الفقيه الهمداني، المتوفى سنة 365هـ/ 975م، في كتابه: (البلدان) معلومات لا تقل أهمية عن تلك التي قدمها لنا من سبقه من الرحالة والجغرافيين الذين ذكرناهم سابقاً، مشيراً إلى بعض مصادره في الحصول على المعلومة، مثل الرحالة سليمان التاجر، وبعض الكتب الفارسية⁽¹⁰⁾، وقد كان لبعض الأخبار التفصيلية التي مدّنا بها ابن الفقيه الهمداني دور كبير في تعريفنا بالعديد من الأمور المتعلقة بحياة العُمانيين الزراعية والتجارية والبحرية، ومدى تأثير الأجواء على حياتهم، وما يترتب على ذلك من انتشار لبعض الأوبئة والأمراض وغير ذلك⁽¹¹⁾.

ويعد كتاب المؤرخ والجغرافي أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصللي، المتوفى سنة 367هـ/ 977م، المعروف ب: (صورة الأرض)، من بين أهم المصادر التاريخية الجغرافية التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا، لما مدنا به من أخبار مختلفة عن عُمان، وأهلها وقبائلها، وبعض مدنها التي ذاع صيتها وشهرتها في ذلك الحين، مثل: مدينة مرياط⁽¹²⁾، وظفار⁽¹³⁾ وصحار، ونزوى⁽¹⁴⁾ وغيرها، موضحاً بعض السمات التي تميزت بها بعض تلك المناطق وغيرها من مناطق

توسعنا في وثائق هؤلاء الرحالة والجغرافيين تبين لنا أنه كان لهؤلاء أسبابهم الخاصة والعامة في تدوين ما سمعوه أو شاهدوه عن عُمان، وهو ما دفعنا إلى ضرورة البحث والتقصي عن تلك الأسباب، والتعريف بها في مستهل حديثنا في هذا البحث.

◀ 2 - أسباب توثيق الرحالة والجغرافيين لما وصلهم أو شاهدوه عن عُمان:

إن الدارس لما وُثِّق في المؤلفات التاريخية للرحالة والجغرافيين المسلمين يستطيع من خلال تعمقه فيما جاء فيها أن يخرج بخلاصة للأسباب التي دفعت هؤلاء إلى ذكر بلاد عُمان ومدنها، والاهتمام بها وتاريخها، وموقعها وغير ذلك من الأمور التي نحن بصدد دراستها، على الرغم من عدم إشارة بعضهم إلى ذلك صراحة، وهو ما دفعنا إلى التقصي والبحث لرصد تلك الأسباب، وتحديدتها في الآتي:

1 - أهمية موقع بلاد عُمان بالنسبة للبلاد الإسلامية، ومواقع الثقل التجاري في العالم في ذلك الحين، مثل: الهند والصين والشرق الأفريقي، وكثرة التواصل بينهما، مما جعل من شهرة عُمان وتجارها أن تصل إلى الآفاق، لاسيما وأنها مثلما تذكر تلك المصادر الجغرافية كانت من أهم المنافذ الرئيسة إلى الجزيرة العربية والخليج العربي، وفرضة جميع العالم، عبر موانئها الشهيرة⁽²¹⁾ التي سوف نتحدث عنها لاحقاً.

2- شهرة العُمانيين في البلاد الإسلامية وغيرها، بالأعمال التي تميزوا بها بشكل كبير في العالم في ذلك الوقت، مثل: التجارة، والصناعة، والزراعة، وركوب البحر، ومعرفتهم بأحواله، وأهواله، ومواسمه وغيرها من الأمور التي أشار لها بعض من الرحالة والجغرافيين⁽²²⁾.

3- رغبة كثير من الرحالة والجغرافيين التعريف

في ذلك الحين، وأهم مدنها، وساكنيها، وجبالها الشهيرة⁽¹⁸⁾، وقد أعطت تلك المادة رافداً جديداً، ومادة علمية لا يمكن الحيد عنها في دراستنا هذه.

لقد كان لما وصلنا من وثائق هؤلاء المؤرخين من الرحالة والجغرافيين، دور كبير في رسم صورة لواقع بلاد عُمان خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة من العصر الإسلامي عامة، والقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي خاصة، على الرغم من أن بعض هذه المصادر اعتمدت على بعضها في إيصال المعلومة، ومع ذلك كانت لبعض الزيادات التي قدمها هؤلاء من مشاهداتهم الشخصية أو ما سمعوه من غيرهم أثره في إثراء تاريخ عُمان، مما مكنا عند قراءتنا لكل تلك الوثائق من إعطاء صورة ولو تقريبية لذلك الواقع الذي عاشه هذا القطر العربي في ذلك الوقت، علماً بأن الاهتمام ببلاد عُمان من قبل المؤرخين من الرحالة والجغرافيين لم يكن وليد ذلك العصر فقط؛ بل كان له مقدمات وثقها لنا بعض ممن زاروا عُمان، أو كتبوا عن جغرافيتها، وميزاتها في القرن السابق، وقد حاولنا هنا رصد بعض من تلك المؤلفات والوثائق الجغرافية التي ورد فيها ذكر بلاد عُمان، بغض النظر عن حجم المعلومة وكثرتها، وأحببنا هنا ذكر بعض منها على سبيل المثال لا الحصر: مثل كتاب: المؤرخ الجغرافي إسحاق بن الحسين المنجم، المتوفى قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، (آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان)⁽¹⁹⁾، وكتاب المؤرخ الجغرافي: أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، المتوفى بعد سنة 292هـ/ 892م، (البلدان)⁽²⁰⁾ وغيرها من مؤلفات الرحالة والجغرافيين، مع العلم أن بعض مؤرخي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وجغرافيته استقوا معلوماتهم من هذه المصادر، واعتمدوا على ما جاء فيها من أخبار مختلفة - وإن كانت موجزة - عن طبيعة عُمان، وواقعها خلال مدة الدراسة، ومن خلال

بمسالك، وطرق بلاد عُمان الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية، التي وصفها بعضهم بالصعبة والخطيرة، لكثرة القفار فيها، وخلوها من السكان، وارتفاع حرارتها التي جعلت أكثرها صحاري قاحلة يصعب السفر فيها أو السير إليها⁽²³⁾، إلا بمرشد له معرفة بها، وهو ما دفع ببعض المؤرخين من الرحالة والجغرافيين أن يجعلوا من مؤلفاتهم دليلاً للتعريف بالمنطقة، وطرقها، ومسالكها، ومالكها.

بمسالك، وطرق بلاد عُمان الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية، التي وصفها بعضهم بالصعبة والخطيرة، لكثرة القفار فيها، وخلوها من السكان، وارتفاع حرارتها التي جعلت أكثرها صحاري قاحلة يصعب السفر فيها أو السير إليها⁽²³⁾، إلا بمرشد له معرفة بها، وهو ما دفع ببعض المؤرخين من الرحالة والجغرافيين أن يجعلوا من مؤلفاتهم دليلاً للتعريف بالمنطقة، وطرقها، ومسالكها، ومالكها.

وخلاصة القول، إن القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي شهد بروز عدد من الرحالة والجغرافيين الذين جابوا العالم، وزاروا العديد من البلاد الإسلامية وغيرها، ودونوا مشاهداتهم فيما وصلنا من مؤلفات تعد اليوم من أهم المصادر التي لا يمكن كتابة التاريخ إلا بها، لاسيما تاريخ بلاد عُمان التي كان لها نصيب فيها دُونَ في هذه المؤلفات الجغرافية المهمة، مع العلم أن أهمية ما جاء به هؤلاء عن عُمان يظهر لنا من خلال الوصف الدقيق الذي قدمه بعض الرحالة والجغرافيين عن موقع عُمان، وطبيعتها، وأهم مناطقها ومدنها، ومميزاتها، وقبائلها، وجذورهم التاريخية، وتفرعاتهم القبلية والأسرية في المدن العُمانية المختلفة، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث القادم.

4- وجود كثير من السلع التجارية التي تميزت بها عُمان عن غيرها، فضلاً عن المنتجات الزراعية التي ذاع صيتها في الآفاق في ذلك الوقت، لدرجة دفعت بعض هؤلاء الرحالة والجغرافيين إلى التفصيل في أنواع هذه المنتجات لاسيما التجارية والزراعية منها⁽²⁴⁾، وهذا دليل على الانبهار والإعجاب بها، لتمييزها عن منتجات بقية البلاد التي زاروها أو سمعوا عنها.

5 - رغبة بعضهم في التعريف بعُمان، وأشهر من سكنها من القبائل العربية وغيرها، وما تفرع عنها من أقوام، ومواقع سكنهم وإقامتهم، وأهم أعمالهم، لاسيما وأن المنطقة اشتهرت بأصالة قبائلها وساكنيها⁽²⁵⁾.

6 - حاجة بعضهم إلى تدوين ما شاهدوه، أو سمعوه عن عُمان، بهدف توثيق تلك المعلومات للأجيال، لتكون شاهداً لتاريخ هذا القطر الإسلامي الذي ذكره المؤرخون لكونه جزء لا يتجزأ من البلاد الإسلامية، لاسيما وأنه شهد الكثير من الأحداث التاريخية التي شهدتها الدولة الإسلامية في مدة الدراسة، لدرجة دفعت بعض الجغرافيين والرحالة إلى الإشارة إلى تلك الأحداث التي شهدتها عُمان⁽²⁶⁾.

7 - الإسهام في إرشاد المسافرين والتجار والحجاج وغيرهم - على ما يبدو -، ومساعدتهم في تحديد المسافات بين الطرق من وإلى عُمان وغيرها، لتسهيل حركتهم، وتعريفهم بالخطوط والطرق

◀ موقع بلاد عُمان وأوضاعها الاجتماعية عند الرحالة والجغرافيين:

شكّلت وثائق الرحلات والجغرافيا عبر التاريخ مادة غنية ومهمة من الصعب الاستغناء عنها جاء فيها، لأهميتها التاريخية والعلمية، وإسهامها في إعادة كتابة تاريخ الشعوب، ويعد ما دُونَ في هذه المؤلفات عن مواقع بعض البلاد الإسلامية توثيق لحدودها الجغرافية، وإثبات لأصالة تاريخها، على الرغم من بعض التداخلات التي وقع فيها بعض هؤلاء الرحالة والجغرافيين، نتيجة لعدم زيارة بعضهم لهذه المناطق

شرق الجزيرة العربية بقوله: « ثم في الانحراف نحو المشرق، أعمال عُمان واليمامة والبحرين »، وهو ما يؤكداه الهمداني⁽³⁵⁾، بقوله: « وشرقيها: عُمان والبحرين وكاظمة والبصرة ». أما حدود عُمان الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية والغربية، فيلُفُّها البحر، مثلما يشير إلى ذلك الأصبخري⁽³⁶⁾ عند حديثه عن البحر الممتد من شمال عُمان بقوله: « فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عُمان، ثم يعطف على سواحل مهرة...⁽³⁷⁾»، وهو ما يؤكد ابن حوقل⁽³⁸⁾، من أن حدود عُمان تاريخياً امتدت شرقاً حتى الخليج العربي، وقد سمي البحر الذي يقع جنوب شرق عُمان تاريخياً، باسم بحر عمان⁽³⁹⁾.

وفي الوقت نفسه، تحدد تلك الوثائق والمؤلفات بشيء من التفصيل المسافات التي تحد عُمان بجيرانها في بعض الجهات، والمناطق الحدودية، فعن الجهة الشمالية الشرقية، الممتدة إلى البحرين، يقول ابن خرداذبة⁽⁴⁰⁾: « والمنازل من عُمان إلى البصرة السبخة، وهي بين عُمان والبحرين قطر العقير ساحل حجر حمض »، وتقدر مسافة السفر بينهما بنحو شهر⁽⁴¹⁾، ويشير ابن حوقل⁽⁴²⁾ إلى أن المسافة بين عُمان والبحرين كانت غير قابلة للسكن أو السفر، صحراوية، لكونها لا ماء فيها، ولا مرعى، ولا سكان، فقال: « بين اليمامة والبحرين وبين عُمان، ومن وراء عبد القيس بَرَّةٌ خالية عن الآبار والسكان والمراعي، قفرة لا تسلك ولا تسكن »، ويشير في موضع آخر إلى أن الطريق بينهما كانت محفوفة بالمخاطر قائلاً: « وكذلك ما بين عُمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمامع العرب وتنازعهم فيما بينهم »⁽⁴³⁾، وهو ما يؤكد الأصبخري⁽⁴⁴⁾ بقوله: « وبين البحرين وبين عُمان بَرَّةٌ ممتعة ».

وعندما يستعرض الهمداني⁽⁴⁵⁾ لما يفصل بين عُمان واليمن من جهة الغرب، والجنوب الغربي لها، يقول: « ثم الرمل رمل الكديد، وهو بينه وبين

والبلاد، واعتماد بعضهم الآخر على السماع من غيرهم، وقد كانت عُمان من البلاد الإسلامية التي حظي موقعها باهتمام الرحالة والجغرافيين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لما تميز به هذا الموقع من أهمية، جعلت منه مادة تفنن بعضهم في وصفها، والحديث عن مكانتها.

♦ 1 - موقع عُمان عند الرحالة والجغرافيين:

مما لا شك فيه، أن عُمان تقع في أقصى جنوب شرقي الجزيرة العربية، من الشمال تمتد إلى مسندم على ساحل مضيق هرمز، وتتداخل أراضيها مع رمال الربع الخالي من الغرب والجنوب الغربي، ويفصلها عن البحرين وقطر رمال بينونة، وعن حضرموت رمال الأحقاف⁽²⁸⁾ المتصلة بالربع الخالي⁽²⁹⁾. وقد كان للموقع الذي تميزت به عُمان أثره الواضح والكبير في وثائق بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين، الذين راحوا يوصفون ما شاهدوه عن ذلك الموقع، أو ما سمعوه عنه ممن زاروه⁽³⁰⁾، في محاولة للتعريف بموقع عُمان وحدودها الجغرافية، وإبراز أهميتها بالنسبة لديار العرب المرتبطة بها حدودياً، لدرجة بلغت بالهمداني⁽³¹⁾ إلى وصف المساحة الجغرافية التي تقع ضمنها عُمان من بين أفضل البلاد المعمورة، مشيراً إليها كإقليم مستقل بذاته، له حدوده الجغرافية، وعَدَّ المقدسي⁽³²⁾ عُمان كورة جليلة مستقلة في جزيرة العرب، في حين يُدخل ابن الفقيه الهمداني⁽³³⁾ عُمان ضمن البلاد التي وصفها بصفوة الأرض بقوله: « ثم برية العرب إلى عُمان، وإلى كرمان وأرض طبرستان وإلى كابل وطخارستان... وهذا الجزء هو صفوة الأرض ووسطها، لا يلحقه عيب، ولا يناله تقصير ».

ويحدد ابن خرداذبة⁽³⁴⁾ موقع عُمان في جنوب

الرحالة والجغرافيون المسلمين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لعمان كثيراً من المدن والقرى التاريخية الشهيرة هناك، وقد توزعت تلك المدن على الأراضي العُمانية التي اختلف الجغرافيين في تقدير مساحتها، بعد أن اجتهد بعضهم في ذلك، مثل: الأُصطخري⁽⁵¹⁾ الذي حددها بنحو ثلاثمائة فرسخ. أما المقدسي⁽⁵²⁾ فقد حددها بنحو ثمانين فرسخاً، وانفرد عن غيره من الرحالة والجغرافيين المسلمين بذكر أسماء أكثر تلك المدن العُمانية، مع تعريفه لموقع بعضها، وما تميزت به من أهمية، وثروات مختلفة وغير ذلك، مما أسهم في الحصول على معلومات كافية عن بعض تلك المدن بعد الاستعانة بما قدمه لنا بقية الرحالة والجغرافيين ممن عاشوا خلال مدة الدراسة، ومن أبرز هذه المدن التي ورد ذكرها: مدينة صحار، ونزوة، والسرّ، وضنك، وحفيت، وسلوت، ودبا، وجلفار، وسمد، ولسيا، وملح، وبرنم، والقلعة، وضنكان، والمسقط، وتوأم⁽⁵³⁾، وتزيد مصادر أخرى أسماء لمناطق عُمانية مهمة غفل عنها المقدسي، مثل: دما، وحاسك⁽⁵⁴⁾، ومرباط، وظفار⁽⁵⁵⁾ وغيرها⁽⁵⁶⁾.

وقد قدم المقدسي في سياق عرضه لأسماء هذه المدن تفاصيل دقيقة لبعضها، وعلى ما يبدو أن تقديمه هذا خضع لمشاهداته الخاصة، بعد زيارته لها دون غيرها، فضلاً عن الأهمية التي احتلتها بعض هذه المدن، التي راح يصف موقعها، ومكانتها الداخلية والخارجية، وأهم ثرواتها، وأسواقها، وجوامعها، وآبارها، وهوائها وغير ذلك، وكانت مدينة صحار هي أول المدن العُمانية التي حظيت باهتمام الرحالة والجغرافيين في المدة موضوع الدراسة، فقال عنها المقدسي⁽⁵⁷⁾ الذي راح يصفها وصفاً دقيقاً: « صحار هي قصبّة عُمان، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجلّ منه، عامر، أهل، حسن، طيّب، نزه، ذو يسار، وتجار، وفواكه، وخيرات، أسرى من زيد وصنعاء، أسواق عجيبة، وبلدة ظريفة، ممتدة على

يبرين⁽⁴⁶⁾، وليس بينهما ماء ثلاثة أيام بلياليها في الدهناء⁽⁴⁷⁾، ووراء يبرين، والخرّ رمل إلى عُمان »، ويقدر الأُصطخري⁽⁴⁸⁾ المسافة بين عُمان واليمن (مهرة) بنحو شهر، ومن الملاحظ أن الطريق البري من عُمان إلى اليمن كانت تكتنفه كثير من المشاق والمخاطر، بعكس الطريق البحري الذي يسهل السفر فيه إلى اليمن أو إحدى مناطق الجزيرة العربية مثل: جدة أو مكة، ويقول ابن حوقل⁽⁴⁹⁾ عن هذا الطريق: « وطريق عُمان يصعب سلوكه في البريّة، لكثرة القفار وقلة السكّان، وإتّما طريقهم في البحر إلى جدّة، فإن سلّكوا على السواحل من مهرة وحضر موت إلى عدن أو إلى طريق عدن بُعد عليهم وقلّ ما يسلكونه»، ويزيد ابن حوقل أن المناطق التي تفصل عُمان عن اليمامة مما يلي البحر إلى حدود اليمن هي مناطق صحراوية خالية من السكان، وديار العرب⁽⁵⁰⁾.

ومن هنا نستطيع من خلال ما وصلنا من أخبار في وثائق الرحالة والجغرافيين أن نحدد الموقع الجغرافي لعمان، والمسافات التي كانت تفصل بينها، وبين بعض المناطق المجاورة لها في مدة الدراسة، فضلاً عن إشارتها لإمكانية التواصل بين عُمان وغيرها، والتنبيه للمناطق التي من الصعب الوصول عبرها إلى عُمان، وأسباب هذه الصعوبة، وعلى ما يبدو أن عامة الناس وخاصتهم من أهل عُمان وغيرها استفادوا مما جاء في هذه الوثائق التي كوّنت بالنسبة لهم دليل إرشادي مهم للمسافرين من وإلى عُمان، فضلاً عما جاء فيها من ذكر لعدد من مدن عُمان التاريخية التي راحت بعض تلك المؤلفات تصفها، كما سنلاحظ فيما بعد.

◆ 2 - أهم المناطق والمدن

العُمانية عند الرحالة والجغرافيين:

ضمت المساحة الجغرافية التي تحدث عنها

في أثناء تعريفه لعمان: « والقصبة اسمها صحار، وليس على بحر فارس مدينة أجلّ منها، وأعمالها نحو ثلاثمائة فرسخ ". ومن الملاحظ أن هناك تقارباً كبيراً في الوصف الذي قدمه ابن حوقل والأصطخري عن صحار، لاسيما وأنهم عاشوا في مدة زمنية متقاربة، والأرجح أن ابن حوقل نقل عن الأصطخري لتأخره عنه في سنة الوفاة، وهو ما يدل لنا أن هناك تقارباً كبيراً فيما قدمه الرحالة والجغرافيون في حديثهم عن صحار لاسيما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لتقارب المدة الزمنية التي جمعت بينهم، ومع ذلك نلاحظ أن هناك زيادة بين تعريف وآخر رغم تشابهها، وهو ما يمكن تمييزه والاستفادة منه.

وفضلاً عن ذلك، فقد حظيت بقية المدن العُمانية أيضاً باهتمام بعض هؤلاء الرحالة والجغرافيين، وراح جُلهم يصفها بنوع من الاقتضاب، دون التوسع في ذلك، في حين يقدم لنا المقدسي - دون غيره - معلومات تفصيلية، وأن كانت مختصرة عن تلك المدن، ولكنها من حيث الأهمية؛ تعد ذات أهمية كبيرة، لاسيما بعد أن أحصاها وأورد أسماءها، ومن تلك المدن مدينة نزوة التي يقول عنها: « ونزوة في حدّ الجبال كبيرة، بناهم طين، والجامع وسط السوق إذا غلب الوادي في الشناء دخله شربهم من أنهار وآبار »⁽⁶⁴⁾. ويذكر في موضع آخر نزوة بأنها من مدن صحار، وعلى يسارها مدينة عُمانية تعرف بسلوت⁽⁶⁵⁾. ويزيد الهمداني⁽⁶⁶⁾ إلى أن نزوة ناحية كانت للشراة⁽⁶⁷⁾، وأن إمامهم ومالهم وجماعتهم كانت تقيم فيها حتى عصره.

كما يصف المقدسي⁽⁶⁸⁾ المدن العُمانية الأخرى بصفات نستطيع أن نحدد من خلالها مساحتها من حيث كبرها وصغرها، ومنّ منها يتبع الآخر إدارياً، والطابع الجغرافي لها، الذي على ما يبدو أنه تميز بالتنوع الطبيعي الذي فرضته البيئة التي تفردت بها مناطق عُمان المختلفة، لاسيما الزراعي منها والحيواني

البحر، دورهم من الآجرّ والساج، شاهقة نفيسة، والجامع على البحر، له منارة حسنة، طويلة، في آخر الأسواق، ولهم آبار عذبة، وقناة حلوة، وهم في سعة من كلّ شيء، دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن، قد غلب عليها الفرس، المصلّى وسط النخيل، ومسجد صحار على نصف فرسخ، ثمّ بركت ناقة رسول الله ﷺ⁽⁵⁸⁾، قد بنى أحسن بناء، وهواءه أطيب هواء من القصبة ومحراب الجامع بلولب يدور تراه مرّة أصفر، وكرة أخضر، وحيناً أحمر ».

وزيادة على ما قال المقدسي عن صحار، قال الأصطخري⁽⁵⁹⁾ عنها في أثناء وصفه لعمان وخصبتها صحار: « وهي على البحر، وبها متاجر البحر، وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان، وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أنّ حدود أعمالها نحو من ثلاث مائة فرسخ ». في حين اكتفى الهمداني⁽⁶⁰⁾ بقوله عنها: « أرض عُمان كورتها العظمى صحار، وأما قراها فأكثر مجامعها هرود من أوديتها ».

كما تطرق ابن حوقل⁽⁶¹⁾ عند حديثه عن عُمان، ووصفه لطبيعتها إلى منطقة صحار، فقال: « وقصبتها صحار، وهي على البحر، وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة، وهي أعمر مدينة بعمان، وأكثرها مالاً، ولا يكاد يعرف على شطّ بحر فارس بجميع الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار، ولها مدن كثيرة، ويقال أنّ حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخ ». ومن خلال عرض الهمداني والأصطخري وابن حوقل نستطيع أن نستنتج أن صحار ضمت الكثير من القرى، والمدن الواسعة المعروفة في التاريخ العُماني التي دخلت في الإطار الجغرافي لها، وهو ما يؤكد لنا المقدسي⁽⁶²⁾ بقوله: « أن نزوة والسر وضنك من مدن صحار »، كإشارة واضحة لما ذهبنا إليه، في حين يقول العزيزي⁽⁶³⁾ الذي كان معاصراً للمقدسي

مدينة صغيرة على شاطئ البحر، وعلى مسيرة يوم ونصف منها مدينة ظفار «. ويذكرها الهمداني⁽⁷⁵⁾، هي ومدينة حاسك⁽⁷⁶⁾ في أثناء حديثه عن بعض الأحداث التي شهدتها عُمان في ذلك الحين، معتقداً أنهما جزء من مهرة، فضلاً عن ذكره لبلدة دما التي تعد من أوائل بلاد عُمان على حدود اليمن، وكانت من أسواق العرب المشهورة⁽⁷⁷⁾.

وخلاصة القول، إن ما قدمته لنا وثائق الرحالة والجغرافيين عن المدن العُمانية سألقة الذكر خلال مدة الدراسة تعد مادة مهمة لكتابة تاريخ عُمان، ومن الصعب الحيد عنها لما فيها من معلومات، وإن كان بعضها يسير، ولكنها تفتح المجال للدارسين للتوسع فيها، إذا ما عادوا إلى ما ذكره غيرهم من الرحالة والجغرافيين في الفترات الزمنية اللاحقة، علماً بأن أهمية تلك المعلومات تبرز بشكل أكبر لتطرق بعضها للبنية القبلية لهذه المناطق والمدن، والجدور التاريخية لها، وهو ما سوف نتطرق له في النقطة الآتية.

◆ 3 - سكان عُمان وجدورهم التاريخية:

إن المتطلع لدراسة تاريخ عُمان قد يلاحظ بأن الجزء الأكبر من سكان تلك المساحة الجغرافية هم من القبائل التي هاجرت من المناطق القريبة منها، أو التي ارتبطت معها بعلاقات اجتماعية أو اقتصادية قوية، ومن خلال قراءتنا لما جاء في وثائق الرحالة والجغرافيين في مدة الدراسة نجد أن هناك إشارات لبعض القبائل والأقوام التي سكنت عُمان، واستقرت فيها، وأن مصدر أكثر تلك القبائل كانت بلاد اليمن التي تقع في الجزء الغربي من عُمان، وتحديدًا بلاد مهرة، وعلى ما يبدو أنه كان للتداخل الجغرافي بين الأراضي العُمانية واليمينية دور في انتقال بعض القبائل اليمينية إلى عُمان وبقائها فيها، ليصبح هؤلاء هم السكان الأصليين لها، لاسيما المناطق التي نزحوا

والبحري، حيث يقول في وصفه لهذه المدن: « والسّر أصغر من نزوة، والجامع في السوق، شربهم من أنهار وآبار قد التقت بها النخيل. وضمنك صغيرة في النخيل أبدأ، بها سلطان قوي؛ لأنهم شراة عصاة. وحفيت كثيرة النخيل من نحو هجر الجامع في الأسواق. وسلوت مدينة كبيرة على يسار نزوة. ودبا وجلّفار وهما من نحو هجر، قريبتان من البحر. وسمد منبر لنزوة. ولسيا، وملح، وبرنم، والقلعة، وضمنكان مدن أيضا «. ومن العجيب تفرد المقدسي بذكر مثل تلك المدن، وتجنب بقية الرحالة والجغرافيين ذكرها، وهو ما يضع أمامنا بعض علامات الاستفهام حول ذلك، وقد يكون لتوسع مدارك المقدسي، وزيارته للمنطقة دور في تدوين كل ذلك، وذكر الأسماء التي أوردناها⁽⁶⁹⁾.

وفي الوقت نفسه، حظيت مدينة مسقط باهتمام بعض رحالة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وجغرافيوه، لما كان لها من مكانة اقتصادية في ذلك الزمان، على الرغم من محدودية المعلومات التي ذكرها هؤلاء عنها، مثل السيرافي⁽⁷⁰⁾ الذي وصفها بأنها موضع يستعمله أهل البحر، وينطلقون منه كميناء - تقريباً -، وأنها آخر عُمان من الجهة الجنوبية الشرقية، وي زيد ابن الفقيه الهمداني⁽⁷¹⁾ على ما ذكره السيرافي، أن مسقط تمتاز بمائها العذب، الذي يستخرج من أحد آبارها، وأن هناك جبل فيه غنم ورعاة. ويصفها المقدسي⁽⁷²⁾ بقوله: « المسقط أول ما يستقبل المراكب اليمينية، ورايته موضعاً حسناً كثير الفواكه وتوأم ». ونستشف من خلال عبارة أوردها لنا ابن حوقل⁽⁷³⁾ أن مسقط كانت من المناطق العامرة بالسكان، وما تلاها من المناطق المتجهة إلى المغرب كانت لا ساكن بها، وصولاً حتى بلاد مهرة في اليمن.

ومن المدن العُمانية أيضاً التي حظيت باهتمام بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين في مدة الدراسة مدينة مرباط التي وصفها ابن حوقل⁽⁷⁴⁾ بقوله: «

تنسب إليهم جزر القمر، لأن العُمانيين والحضارم وصلوا إلى مدغشقر، والجزر المحيطة بها واستقروا بها.»

كما سكنت بلاد عُمان أيضاً قبائل أخرى تنسب إلى بني سامة بن لؤي⁽⁸⁹⁾، وهي قبائل عربية قرشية عدنانية⁽⁹⁰⁾، انتقلت إلى عُمان بعد أن اختلف كبيرهم سامة بن لؤي مع أخيه كعب بن لؤي، فأقام في عُمان، وتزوج منها، وبقي فيها حتى مات⁽⁹¹⁾، في حين يذكر المقدسي⁽⁹²⁾ أنه سكن في منطقة تَوَام العُمانية قوم من قريش فيهم بأس وشدّة.

ويورد المقدسي إشارة أخرى يبين من خلالها لنا أن هناك أقواماً أخرى سكنت بلاد عُمان إضافة إلى القبائل العربية التي قمنا بذكرها، ومن هؤلاء جماعات من الفرس الذين انتشروا في مناطق من عُمان، واستقروا فيها، مع احتفاظهم بلغتهم الفارسية، على الرغم من وجودهم في الأراضي العُمانية، وقال المقدسي⁽⁹³⁾ في ذلك: «وبعُمان داوودية⁽⁹⁴⁾، لهم مجلس أهل هذا الإقليم، لغتهم العربية الآ بصحار، فإنّ ندامهم وكلامهم بالفارسيّة.»

وعلى أية حال، فقد انتشرت تلك القبائل في مناطق عُمان ومدنها المختلفة⁽⁹⁵⁾، فسكن بنو جديد في منطقة ريسوت⁽⁹⁶⁾ بين عُمان وعدن⁽⁹⁷⁾، وأقام بنو يحمّد منازلهم بجبال اليعمد القريبة من الشحر⁽⁹⁸⁾، وسكن بنو ريام في موضعٍ يقال له رضاع، وكان لهم في عُمان حصن عظيم لا يرام⁽⁹⁹⁾، وسكنت قبائل بني لؤي بن سامة منطقة صحار، وكانوا من كبرائها⁽¹⁰⁰⁾، واستقرت جماعات من الفرس في مناطق متفرقة من عُمان، وفي صحار⁽¹⁰¹⁾.

لقد كان لبعض الأحداث التي شهدتها عُمان نصيب في مؤلفات المؤرخين من الرحالة والجغرافيين، على الرغم من محدودية تلك المعلومات، وهامشيتها، إلا أنها تعد مهمة لأي قارئ في تاريخ عُمان، علماً بأن

إليها، وبقوا فيها دون أن ينافسهم عليها أحد، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الهمداني⁽⁷⁸⁾ من أن سكان عُمان هم من قبائل الأزد، وهو ما ذهب إليه أيضاً عدد من الرحالة والجغرافيين المعاصرين له، أو الذين جاءوا بعده، مثل: ابن الفقيه⁽⁷⁹⁾، والعزيمي⁽⁸⁰⁾، ويذكر النسابة⁽⁸¹⁾ أن الأزد قبائل عربية تنسب إلى: الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد مناة بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد خرجت هذه القبيلة من مأرب بعد تصدع سدها الشهرير، واختلاف أفرادها مع بقية القبائل اليمنية الأخرى، وتفرقت بطونها في أودية وسهول اليمن، وفي البلاد العربية بين مكة، ويثرب، واليمامة، والبحرين، والشام، والعراق، واستقرت هناك، ويقول الهمداني⁽⁸²⁾ في ذلك: «فصار كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السّروات، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها، ومنهم من خرج إلى العراق، ومنهم من سار إلى الشام، ومنهم من رمى قصد عُمان، واليمامة، والبحرين.»

ومن الملاحظ، أنه كان لعُمان نصيب من تلك الهجرة التي كانت سبباً في انتشار الكثير من قبائل الأزد بين مدنها وقراها⁽⁸³⁾، وقد عرفت تلك القبائل لدى المؤرخين من الرحالة والجغرافيين في مدة الدراسة بأزد عُمان⁽⁸⁴⁾، تمييزاً لهم عن بقية فروع الأزد التي انتشرت في مختلف البلاد العربية.

ويقدم لنا الهمداني⁽⁸⁵⁾ معلومات مهمة عن أهم فروع الأزد التي سكنت عُمان، فيقول في ذلك: «فأما ساكن عُمان من الأزد: فيحمّد، وحدّان، ومالك، والحارث، وعتيك، وجديد.» وبنو ريام، بطن من القمر⁽⁸⁶⁾، وهم من قضاة، قدموا عُمان، فجاوروا الأزد بها، وأقاموا معهم، وصاروا من أتلاذ عمان⁽⁸⁷⁾، ويعلق الدكتور عبد الرحمن الشجاع⁽⁸⁸⁾ على هذا البطن من القمر، بقوله: «لعل القمر هؤلاء الذين كانوا يسكنون عُمان والشحر هم أنفسهم الذين

عرف بموسى بن ربيع من العَدَس⁽¹⁰⁵⁾.

ويصف لنا الأَصْطَخْرِي⁽¹⁰⁶⁾ في أثناء حديثه عن صحار الأوضاع التي كانت تعيشها المنطقة وقبائلها، مشيراً إلى أن الغالب عليها الشراة من أهل عُمان، وأنه كانت هناك حروب دائرة بينهم، وبين جماعات من بني سامة بن لؤي، زعماء تلك النواحي، مما دفع بأحد رجالهم ويعرف بمحمد بن القاسم السامي إلى الخروج إلى العراق، للاستنجاد بالخليفة المعتضد⁽¹⁰⁷⁾ الذي بعث معه بقائد عرف بابن ثور، تمكن من دخول عُمان باسم المعتضد، وأقام بها الخطبة له، مما دفع بالكثير من الشراة إلى النزوح إلى بعض المناطق التي كانت خاضعة لهم ولأنصارهم، مثل منطقة نزوة، وظلوا فيها بعد أن أقاموا لهم إمام هناك، ويؤكد الأَصْطَخْرِي⁽¹⁰⁸⁾ أنهم ما زالوا فيها هم وإمامهم ومالهم وما عليهم وجمعاتهم حتى عصره.

لقد كان لما مدَّتنا به وثائق الرحالة والجغرافيين المسلمين أهمية كبيرة، تمكنا من خلالها التعرف على جوانب من الحياة الاجتماعية لسكان بلاد عُمان من القبائل العربية وغيرها، وأماكن إقامتهم، وجذورهم التاريخية، فضلاً عن الوضع العام لحياة هذه القبائل، والعلاقات التي ربطتها ببعضها، مما يعطي لنا صورة، ولو بسيطة عن وضع عُمان خلال مدة الدراسة.

◀ الوضع الاقتصادي لعُمان عند الرحالة والجغرافيين:

مما لا شك فيه، أنه كان للتنوع الكبير في الأخبار التي قدمتها مؤلفات الرحالة والجغرافيين دور عظيم في زيادة أهميتها العلمية بالنسبة لجميع الباحثين، لما احتوته من معلومات مهمة ومتنوعة، شملت جوانب من حياة الناس العامة، على الرغم من اختلاف حجم تلك المعلومات من جانب إلى آخر، وهو ما حاولنا توضيحه من خلال قراءتنا في المباحث السابقة، إلا

ما ذكره هؤلاء الرحالة والجغرافيون عن هذه الأحداث جاء في سياق حديثهم عن القبائل العُمانية، وما كان دائر بينها من صراعات مذهبية، أو صراع لأجل النفوذ، بهدف توسع كل قبيلة على حساب أراضي القبيلة الأخرى، وقد تجنب جميع الرحالة والجغرافيين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الخوض في هذا الجانب، والتوسع فيه، نتيجة لاهتمامهم الأخرى، التي كرسها أكثرهم لتدوين مشاهداتهم عن المناطق والبلدان التي دخلوها أو سمعوا عنها.

ويعد الهمداني⁽¹⁰²⁾ من بين المؤرخين الجغرافيين الذين أشاروا إلى بعض تلك الأحداث التي حصلت في أول عصره - وإن كانت إشارات جانبية - وذلك في أثناء حديثه عن الأزدي من بني جديد الذين سكنوا منطقة ريسوت، وصراعهم مع قوم من القمر من بني خنزريت، وما نتج عن ذلك الصراع من قتل وتشريد لبني جديد، أودى بحياة بعض زعمائهم، مثل: عمرو بن يوسف الجديدي الأزدي، وتشريدهم في بلاد مهرة، ومناطق أخرى حدودية بين عُمان واليمن، مثل: حاسك ومرباط، وموقف مهرة من ذلك الصراع، ووقوفهم إلى جانب بني جديد، ومساندتهم لهم، ليستعيدوا أرضهم وأملاكهم، بعد أن هرب منها بنو خنزريت، الذين تفرقوا في مناطق مختلفة من عُمان، مثل منطقة رضاع التي هرب إليها رئيسهم محمد بن خالد، وجماعة منهم، وإقامتهم فيها إلى جانب سكانها من بني ريام الذين يعود نسبهم إلى القمر، ومجاورتهم لهم، في حين يذكر الهمداني⁽¹⁰³⁾ أن بني جديد من الأزدي نزلوا منطقة ريسوت، وترأسوا على سكانها القدامى من البياسر⁽¹⁰⁴⁾، ثم جاؤوا عدداً من أحياء العرب الذين نزلوا إلى جانبهم، فضلاً عن مهرة، وقد نتج عن ذلك الحوار، زيادة الروابط الأسرية بين جديد ومهرة، لكثرة المصاهرة التي وثقت بينهم الأواصر الأسرية، وقد نتج عن تلك الروابط ظهور زعامات جديدة ترأست فيهم، مثل شخص

وخلال مدة الدراسة خاصة؛ وما يؤكد ذلك ما أشار إليه كل من دَوْن لهذا القطر العربي من الرحالة والجغرافيين وغيرهم، بحكم موقعه المهم على ساحل بحر العرب، فيذكر المقدسي⁽¹⁰⁹⁾، بلاد عُمان ضمن أبرز المناطق والمدن التجارية العربية في ذلك الحين، وينصح لمن أراد الرزق والتجارة بها، بقوله: « ومن أراد التجارة فعليه بعدن، أو عُمان، أو مصر ». في حين يقدم لنا صاحب كتاب: (حدود العالم)⁽¹¹⁰⁾ وصفاً دقيقاً وجميلاً لِعُمان، وتجارها، وتجارها، وما نعمت به من ثراء بسبب علاقاتها التجارية، موضحاً ما كسبته من شهرة تجارية عالمية، وسمعة بلغت بها الآفاق في المشرق والمغرب والجنوب والشمال، فقال في ذلك: « عُمان مدينة عظيمة على ساحل البحر، بها تجار كثيرون، وهي فرضة جميع العالم، ولا توجد في العالم مدينة لتجارها من الثراء ما لتجار عُمان، تقع إليها تجارات المشرق والمغرب والجنوب والشمال، حيث تحمل من هناك إلى الآفاق ».

وفي الوقت نفسه، فضّل بعض الرحالة والجغرافيين في وصف تجارة عُمان، من خلال الحديث عن بعض مدنها الساحلية التي اشتهرت بموانئها التجارية، وأسواقها، مثل مدينة صحار التي مُيزت بموقعها التجاري على شاطئ بحر عُمان والخليج العربي (بحر فارس كما يسميه بعضهم)، وبكثرة متاجرها، وتجارها، لما كان يصلها من سفن تجارية، حتى أن ذلك كان سبباً في أن تصبح هذه المدينة من أعمر مدن المنطقة، وأكثرها ثروة، ويصف الأصبطخري⁽¹¹¹⁾ ما وصلت إليه من ثراء وتجارة بقوله: « وبها متاجر البحر، وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعُمان، وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار ». ويقول عنها ابن حوقل⁽¹¹²⁾: « وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة ». ويزيد المقدسي⁽¹¹³⁾ في وصفه لموقع مدينة صحار،

أن أهمية تلك الوثائق والمؤلفات تبرز بشكل أكبر من خلال ما قدمته لنا عن بعض جوانب حياة الناس الاقتصادية، لاسيما التجارية والزراعية، التي كانت تُعد من أكثر الأعمال والأنشطة التي زاوها أهالي بلاد عُمان خلال مدة الدراسة، وكانت سبباً في علو صيت المنطقة وأهلها في ذلك الحين، علماً بأن ارتفاع ذلك الصيت لأهل عُمان جاء نتيجة للسمعة الطيبة التي تميزوا بها، والخبرات العملية المختلفة التي اشتهروا من خلالها، بعدما ارتبطوا بالعالم الخارجي تجارياً، وتعطي لنا مؤلفات الرحالة والجغرافيين الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي معلومات مهمة في هذا الجانب، كدليل على ما وصل إليه العُمانيون في الجوانب الاقتصادية المختلفة، التجارية والزراعية والصناعية.

وكيفما كان الأمر، فقد اظهرت المعلومات الاقتصادية التي وصلتنا عبر وثائق الرحالة والجغرافيين المسلمين أن اقتصاد بلاد عُمان الداخلي خلال مدة الدراسة قام على ثلاثة مفاصل رئيسة، هي: التجارة والزراعة والصناعة، مع تركيز هذه الوثائق على التجارة، والعلاقات التجارية التي ربطت عُمان بالعالم الخارجي، وتأثير ذلك الأمر على المنطقة، وبروز موقعها تجارياً بعد اشتهار موانئها الواقعة على بحر عُمان وبحر العرب، في حين يقدم لنا هؤلاء الرحالة والجغرافيون معلومات قيمة؛ وأن كانت مختصرة عن الزراعة في بلاد عُمان، وأهم المحاصيل الزراعية التي اشتهر بزراعتها أهالي بلاد عُمان، وأهم المناطق الزراعية هناك.

◆ 1 - تجارة عُمان عند الرحالة والجغرافيين:

نلاحظ من خلال قراءتنا لما جاء في المؤلفات التاريخية، وكتب الرحلات والجغرافيا أن بلاد عُمان اكتسبت سمعة تجارية متميزة عبر التاريخ عامة،

والهند والصين والزنج». كما يُذكر أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف⁽¹¹⁹⁾ في بلاد فارس بأنواع السلع التجارية، التي كانت تصلها من البصرة وعمان وغيرها، وهناك يتم شحن سفن صينية أكبر منها ببضائع البصرة وعمان إلى الصين وغيرها⁽¹²⁰⁾، ويكشف لنا صاحب كتاب: (حدود العالم)⁽¹²¹⁾ العلاقة التي ربطت العُمانيين بالشرق الأفريقي، بقوله: «القول في بلاد الحبشة ومدنها: شريقها بعض بلاد الزنج؛ وجنوبيها وغربيها مفازة؛ وشمالها بحر، وبعض خليج البربر، بلاد يمتاز أهلها باعتدال الوجوه، وهم سود مسالمون ذوو همم قعس، مطيعون لملكهم، يأتي إليها التجار من عُمان والحجاز والبحرين».

وكيفما كان الأمر، فقد اشتهرت عُمان بأنها كانت منطقة شحن عالمية، ترد إليها السفن لحمل أنواع البضائع، بعد أن تقوم بإنزال ما تحمله من سلع بلاد العالم المختلفة، ثم تحمل تلك السفن الكثير من الخيرات التي كانت تكتنزها موانئ عُمان، ويصف السيرافي⁽¹²²⁾ ذلك بقوله: «فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف، وأن المتاع يحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف، فيعَبَّأ في السفن الصينية بسيراف». ويذكر ابن الفقيه⁽¹²³⁾ نقلاً عن سليمان التاجر أن أكثر السفن الصينية تحمل من البصرة وعمان، في حين شكَّل وصول مثل تلك السفن التجارية إلى الموانئ العُمانية مصدر دخل عظيم بالنسبة للعُمانيين، ومورد رئيس للبلاد، لما كانت تجنيه موانئ عُمان من أموال وضرائب على السفن والبضائع التي يتم تفريغها في هذه الموانئ، ويذكر لنا الرحالة بزرک⁽¹²⁴⁾ أن أحد التجار وصل عُمان في سنة 317هـ/929م، قادماً من سرنديب (جزيرة سيلان)، وبلغت عشور مركبه ستمائة ألف دينار.

وقد تنوعت البضائع والسلع التي كانت تفرغها السفن التجارية في الموانئ العُمانية، وتوزعت بين أدوية وعطور، ومعادن بأنواعها، وأخشاب، وبهارات

وتجارها، وتجارها، وأسواقها، وأهميتها التجارية بالنسبة لدول العالم والمنطقة بقوله: «ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه، عامر، أهل، حسن، طيب، نزه، ذو يسار، وتجار، وفواكه، وخيرات أسرى من زبد وصنعاء، أسواق عجيبية، وبلدة ظريفة ممتدة على البحر، دورهم من الآجر والساج، شاهقة، نفيسة، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذبية، وقناة حلوة، وهم في سعة من كل شيء، دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن».

كما تميزت مدينة مسقط مثلما يذكر السيرافي⁽¹¹⁴⁾ بمينائها التجاري في ذلك الحين، وبالموقع المتميز لذلك الميناء الذي أصبح في المدة موضوع الدراسة منطقة انطلاق للسفن التجارية المتجهة إلى المشرق والمغرب، وموقع تتزود به السفن المسافرة عبر الخليج العربي والمحيط الهندي، ويذكر السيرافي⁽¹¹⁵⁾ وابن الفقيه⁽¹¹⁶⁾ أن السفن كانت ترسو في مسقط، حيث تتزود بالمياه العذبة، ثم تقلع هذه السفن إلى بلاد الهند، وتمر في طريقها إلى كوكم ملي (الساحل الغربي لبلاد الهند)، وتقطع السفن تلك المسافة في مدة شهر، على اعتدال الرياح، ويذكر المقدسي⁽¹¹⁷⁾ عن مسقط أنها: «أول ما يستقبل المراكب اليمنية، ورأيتها موضعاً حسناً».

لقد ارتبطت عُمان عبر تاريخها الطويل بعلاقات تجارية متميزة مع الكثير من الدول التي عرفت بثقلها التجاري في ذلك الحين، مثل الهند، والسند، والصين، وبلاد فارس، وشرق أفريقيا (بلاد الزنج وغيرها)، وبمدنا بعض الرحالة والجغرافيين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بصورة واضحة وجميلة لنوع تلك العلاقة، وما نتج عنها من تواصل وانتعاش تجاري، رفع من نسبة الاقتصاد العُماني، وزاد من شأنه، فالعزيمي⁽¹¹⁸⁾ يصف ذلك بقوله: «وعُمان مدينة جليلة بما مرسى السفن من السند

الطرق البحرية التي ربطت عُمان بغيرها كانت في نشاط تجاري مستمر، وحركة بحرية دائمة طوال أيام السنة⁽¹³⁰⁾، مما يؤكد لنا مدى حالة الانتعاش التجاري التي وصلت إليه بلاد عُمان خلال مدة الدراسة، بما يجعلها من بين الأقاليم التي اشتهرت بتميزها التجاري، وعلاقتها الواسعة مع مراكز الثقل التجاري في العصر الإسلامي، على الرغم من الأخطار التي كانت تهدد بحارها، والسفن التي كانت تسافر عبرها، مثلما يشير إلى ذلك السيرافي⁽¹³¹⁾ الذي يبين لنا مدى هول أمواج البحر التي تمر بها السفن المتجهة من عُمان إلى غيرها من المراكز التجارية العالمية والعكس، فضلاً عن قلة مياه البحر في مواضع أخرى⁽¹³²⁾، مما قد يعرض تلك السفن إلى الارتطام بقاع البحر في حالة عدم معرفة بحارها لطبيعة ذلك البحر، وغرقها بسبب اصطدامها ببعض الصخور المرجانية، والجبال الخطيرة، لدرجة بلغت بالسيرافي⁽¹³³⁾ إلى أن يحدد لنا الطرق التي لا بد أن تسلكها السفن الصغيرة، والطرق التي لا بد أن تسلكها السفن الكبيرة في السواحل العُمانية، فضلاً عن خطر لصوص البحر من القراصنة واللصوص الذين كانت سفنهم تجوب الخليج العربي⁽¹³⁴⁾، والمحيط الهندي للتربص بالسفن المسافرة عبره إلى عُمان وغيرها، ويذكر الرحالة بزرک⁽¹³⁵⁾ على لسان أحد الربابنة ويعرف ب: (إسماعيلويه الناخذاة) أنه قد اجتمع له في كرتة واحدة وهو في طريقه من كلة إلى عُمان سنة 317هـ / 929م سبعون بارجةً من بوارج القراصنة، وهو ما لم يحدث لأحد قبله، فحاربها مدة ثلاثة أيام متوالية، وتمكن من إحراق عدد منها، وقتل جماعة من القراصنة، وبعد هذه المعركة عاد هذا الناخوذة إلى مواصلة الطريق إلى بحر العرب (عُمان)، ووصله سالماً بمن معه من بحارة وتجار ومسافرين، وأموالٍ وبضائع، دون أن يمسه مكره.

وعلى أية حال، فإن المطلع لما جاء في وثائق الرحالة والجغرافيين المسلمين في القرن الرابع الهجري/

أطعمة وغير ذلك، ويقدم لنا المقدسي⁽¹²⁵⁾ وصف لما كان يصل عُمان من تلك البضائع والسلع قائلاً: « فإلى عُمان يخرج آلات الصيدلة، والعطر كله حتى المسك، والزعفران، والبقم، والسلج، والساسم، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، واليواقيت، والأبنوس، والنارجيل، والقند، والإسكندروس، والصبر، والحديد، والرصاص، والخيزران، والغضار والصندل، والبثور، والفلفل وغير ذلك "، و يذكر لنا السيرافي⁽¹²⁶⁾ أن المراكب الهندية كانت تشحن بالنارجيل إلى عُمان، وهناك يتم تفريغه وبيعه، ويضيف الرحالة بزرک⁽¹²⁷⁾ في أثناء وصفه لحركة التجارة بين عُمان والهند أن السفن التجارية كانت تنتقل بين عُمان والهند محملة بأموالٍ طائلة، وثروات لا تحصى من المسك، والعود الهندي المعروف بجودته، ورائحته الطيبة، الذي كان يصل بكميات كبيرة إلى ميناء صحار، ليشتره التجار هناك رغم ارتفاع سعره، ثم يتم إعادة تصديره إلى بلاد أخرى من العالم، مستفيدين من وراء ذلك الأموال الطائلة، كما يقول السيرافي⁽¹²⁸⁾ عن علاقات عُمان بجزر الشرق الأقصى، وما اشتهرت به من خيرات، إن في جزيرة كلة (جزيرة في شبه جزر الملايو) جمع الأمتعة من: الأعود، والكافور، والصندل، والعاج، والرصاص القلعي، والأبنوس، والبقم، والأفاوية وغيرها، وتنقل هذه السلع من هذه الجزيرة إلى عُمان، فضلاً عن المراكب التي تجهز بصنوف السلع العربية في طريقها إلى الهند، في حين يؤكد ابن خرداذبة⁽¹²⁹⁾ أن التجار كانوا يقصدون بلاد عُمان في أثناء طريقهم إلى الأبله في جنوب العراق إلى الهند والسند والصين، وكانوا يجلبون معهم من بلدان الشرق الأقصى أنواع البضائع، مثل: المسك والعود والكافور وغيره، ثم يعودون في طريقهم إلى بلاد الروم (أوروبا) عبر البحر الأحمر وخليج القلزم (البحر الأحمر) ومصر.

وتذكر بعض وثائق الرحالة والجغرافيين أن

بعد أن ذاع صيتها بمثل هذه السلع النادرة في ذلك الزمن.

د - معرفة أهل عُمان لمواسم تغير الرياح في البحار، وأوقات هبوبها، والعواصف التي قد تأثر على السفن من عُمان وإليها، وقدراهم على اختيار المراكب التي يتحركون بها عبر البحر، بحسب قوة حركة هذه الرياح أو هدوئها، ومما يؤكد ذلك ما ذكره لنا السيرافي⁽¹⁴⁰⁾ عن نوع السفن التي كان يستخدمها أهل عُمان، ومتى يتم ركوب البحر بها إلى الهند وغيرها، فيقول في ذلك: « وليس يكاد يقطع من عُمان بحر الهند في تير ماه، إلا مركب مغرر حمولته يسيرة، وتسمى هذه المراكب بعُمان اذا قطعت إلى أرض الهند في هذا الوقت التير ماهية، وذلك أن بلاد الهند، وبحر الهند يكون في اليسارة، وهو الشتاء، ودوام المطر في كانون، وكانون وشباط عندنا صيف وعندهم شتاء، كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم، وصيفهم شتاؤنا، وكذلك سائر مدن الهند والسند وما اتصل بذلك إلى أقاصي هذا البحر ».

ه - كثرة عدد التجار العُمانيين من رجال المال والأعمال في المدة موضوع الدراسة، وإزدياد شهرتهم في مختلف بقاع الأرض، وتنامي ثروتهم، بعد استثمارها مع مراكز الثقل التجاري المعروفة في ذلك الحين، ليصبحوا من أثرى أثرياء المنطقة والعالم، مثلما يذكر لنا صاحب كتاب: (حدود العالم)⁽¹⁴¹⁾، عند حديثه عن عُمان الذي يقول عنها: « بها تجار كثيرون، وهي فرضة جميع العالم، ولا توجد في العالم مدينة لتجارها من الثراء ما لتجار عُمان ». ويصف لنا الرحالة برزك⁽¹⁴²⁾، حال أحد تجار عُمان، الذين كانوا يستثمرون أموالهم في الصين، وما أخذ منه من ضرائب وصلت إلى خمسمائة ألف دينار على ما جاء به من أمتعة إلى عُمان، لدرجة بلغت بالخليفة المقتدر⁽¹⁴³⁾ إلى أن يرسل في طلبه إلى بغداد، ليستفيد

العاشر الميلادي، يلاحظ أن هناك عدداً من الأسباب التي جعلت من عُمان منطقة تجارية متميزة، والعُمانيون من أبرز رجال المال والأعمال، والتجارة والبحر في ذلك الحين، ويمكن حصر تلك الأسباب في الآتي:

أ - موقع بلاد عُمان الاستراتيجي الذي جعل منها واحدة من أهم المنافذ التجارية البحرية، والأقاليم الاقتصادية المؤدية إلى الجزيرة العربية والخليج العربي - وهو ما اشرنا له سابقاً عند حديثنا عن أهمية موقع عُمان -، فضلاً عن موقعها على خطوط التجارة البحرية العالمية التي تفرض على جميع السفن ضرورة المرور بموانئها، للتموين، والراحة، وإصلاح ما خربه البحر والسفر، وهو ما جعل من موانئ عُمان محطة تجارية لا بد من المرور بها.

ب - قدرة أهل بلاد عُمان في التعامل مع البحر، وخبرتهم المتنوعة في ركوبه، ومعرفتهم لأماكن الثروة فيه، وهو ما يؤكد السيرافي⁽¹³⁶⁾ بقوله: « وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعُمانيين بعُمان وسيراف، وغيرها من التجار ممن كان يختلف إلى هذه الجزائر، أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر، ويتكوّن كتكون أنواع الفطر من الأبيض والأسود والكمأة والمغاريد ونحوها، فإذا خبث البحر، واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار، وقطع العنبر ».

ج - اشتهار بلاد عُمان وبحارها عبر التاريخ باحتوائها على العديد من الكنوز النادرة التي من الصعب أن نجدها في بلاد أخرى غيرها، مثل، اللؤلؤ الذي كان ينتشر في بحارها، ويستخرج من قبل العُمانيين ليبياع بأرفع الأثمان على من يرد إليها من التجار، أو أغنياء عُمان وغيرهم⁽¹³⁷⁾، وتوافر شجرة الكندر (اللبان)⁽¹³⁸⁾، والعنبر⁽¹³⁹⁾ وغير ذلك من السلع التي من الصعب الحصول عليها في الكثير من البلاد التي يتجه تجارها إلى عُمان للحصول عليها

عُمان مقدار ميل «. ويحدد الأصبطخري⁽¹⁵⁰⁾ المسافة بين البحرين وُعُمان، وُعُمان ومهرة بقوله: « ومن البحرين الى عُمان نحو من شهر، ومن عُمان إلى أرض مهرة نحو من شهر »، وهو ما أشار إليه الكثير من الرحالة والجغرافيين في مدة الدراسة⁽¹⁵¹⁾.

خلاصة القول، إن ما مدّتنا به المؤلفات التاريخية للرحالة والجغرافيين في المدة موضوع الدراسة هي تأكيد لما وصلت إليه بلاد عُمان من تطور وازدهار في الجانب التجاري، بلغ حد العالمية، وهي المرحلة التي كانت تعيشها مراكز الثقل التجاري العالمي آنذاك، مثل: الهند والصين وغيرها، علماً بأن ما تم توثيقه في هذه المصادر يعد مادة مهمة يمكن الاستفادة منها في إعادة صياغة وتدوين التاريخ العُماني، لما جاء فيها من معلومات اقتصادية من الصعب تركها أو غض الطرف عنها، لمن أراد الكتابة عن تاريخ عُمان، وهو ما لاحظناه أيضاً من خلال دراستنا للجانب الآخر من الثروة الاقتصادية لُعُمان في ذلك الحين، ألا وهي الثروة الزراعية التي اشتهرت بها بلاد عُمان كمصدر ثاني من مصادر ثروتها.

◆ 1 - ثروة عُمان الزراعية

وأسواقها عند الرحالة والجغرافيين:

تعدُّ الثروة الزراعية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي - وما قبله - الوجه الآخر للاقتصاد العُماني في المدة موضوع الدراسة، حتى أن القارئ في وثائق الرحالة والجغرافيين المسلمين يستطيع أن يستشف أن كثيراً من العُمانيين سَخَّروا جهودهم ووقتهم للعمل الزراعي، كمصدر مهم من مصادر دخلهم اليومي، كما سخر غيرهم وقته للعمل في التجارة مثلما أوضحنا سابقاً، وعلى ما يبدو أن طبيعة بلاد عُمان الصحراوية الحارة ألزمت العُمانيين بزراعة محاصيل معينة، فرضتها عليهم أجواء المنطقة، ونتيجة لأهمية تأثير الأجواء الطبيعية في عُمان على

من ثروته أمام تمتع أحد حاكم عُمان والمعروف بأحمد بن هلال، خوفاً من عزوف التجار عن بلاده.

و - شهرة بلاد عُمان والبلاد المجاورة لها بصناعة المراكب التجارية، التي أسهمت في تسهيل وتوفير وسائل النقل البحري في المنطقة، وساعدت على تواصل عُمان وأهلها بغيرهم من بلدان العالم، فقال المقدسي⁽¹⁴⁴⁾ في ذلك: « وأن أكثر صنّاع المراكب وملاحها فرس، وهو من عُمان ».

ر - خبرة العُمانيين في معرفة الطرق البحرية والتجارية التي ربطتهم بالعالم الخارجي، والمناطق المجاورة لُعُمان براً وبحراً، وقدرتهم على قياس المسافات، وتحديدتها، وتؤكد لنا قياسات المسافات التي ورد ذكرها في كثير من الوثائق الجغرافية أن الرحالة والجغرافيين المسلمين قد استقوا معلوماتهم هذه من سكان تلك المناطق الذين كانوا ينزلون بها، فكانوا أكثر دراية ومعرفة بمسالكها، ومسافات تلك المسالك، لاسيما البحارة والنواخذ، ممن سافروا وغامروا في البحار، واستطاعوا أن يكونوا فكرة عن المسافات التي يستطيع أن يقطعها الفرد في حالة أراد السفر إلى أي من بلاد العالم براً أو بحراً، فضلاً عن خبرتهم في معرفة الطرق الآمنة من الطرق الخطيرة، وقد اتجه كل من هؤلاء إلى اختيار المقياس المناسب في تحديد المسافات، فمنهم من حددها بالأيام أو الأشهر، ومنهم من حددها بالمرحلة⁽¹⁴⁵⁾، أو الفرسخ⁽¹⁴⁶⁾، أو الميل⁽¹⁴⁷⁾، وهو ما أشار إليه بعض الرحالة والجغرافيين في مؤلفاتهم سالفه الذكر، ومن تلك المسافات التي ورد ذكرها: المسافة بين مسقط وسيراف الذي يحددها السيرافي⁽¹⁴⁸⁾ بنحو مائتي فرسخ، والمسافة من مسقط إلى كولم في الهند تقدر بشهر على اعتدال الرياح، ويذكر الهمداني⁽¹⁴⁹⁾ المسافة من عُمان إلى عدن بقوله: « فمن أراد عدن فطريقه عليها فإن أراد أن يدخل دخل وإن أراد جاز الطريق ولم يلو عليها، وبين الطريق الذي يفرق إليها والطريق المسلوك إلى

ذات أقاليم مستقلة بأهلها، فسحة، كثيرة النخل، والفواكه الجرومية من الموز، والرمان، والنبق ونحو ذلك «. ويقول المقدسي⁽¹⁵⁸⁾ أيضاً عن زراعة عُمان: « وعُمان كورة جلييلة، تكون ثمانين فرسخاً في مثلها، كلُّها نخيل وبساتين عاقمة ». ودفعت شهرة عُمان بزراعة أشجار النخيل إلى أن يعدها الهمداني⁽¹⁵⁹⁾ ضمن بلاد النخيل الشهيرة بأجود أنواع التمور في العالم الإسلامي في المدة موضوع الدراسة، ويقول على لسان والده في ذلك: « قد دخلت الكوفة، وبغداد، والبصرة، وعُمان، ومصر، ومكة وأكثر بلاد النخل ». وقد بلغ من شهرة عُمان بزراعة النخيل إلى تنوع تمورها التي ركز عليها بعض الرحالة والجغرافيين لوجودتها، ولذة مذاقها وطعمها - على ما يبدو -، ويعدد لنا ابن الفقيه⁽¹⁶⁰⁾ أنواع التمور العُمانية بقوله: « أجود تمر عُمان: الفرض، والبلعق، والخبوت »، ويزيد المقدسي⁽¹⁶¹⁾ نوع آخر هو من أجود تمور عُمان ويعرف با مصين.

وفي الوقت نفسه، يفصل المقدسي⁽¹⁶²⁾ أيضاً عند تعريفه لبعض المدن العُمانية الشهيرة بما تفردت به بساتينها من زراعات متنوعه، مثل مدينة صحار التي يقول أنها اشتهرت بفواكهها، ونخيلها، ومدينة السَّر التي اشتهرت أيضاً بمزارع النخيل التي كانت تحيط بها، ومدينة ضنك التي رغم صغرها؛ إلا أن أهلها زرعوا النخيل، واعتمدوا عليه في معيشتهم، لمحدودية تلك المزارع فيها، ومدينة حفيت التي وصفت بكثرة أشجار النخيل في أراضيها، ومدينة مسقط التي عُرفت بكثرة فواكهها.

وتوضح لنا وثائق بعض هؤلاء الرحالة والجغرافيين العوامل التي كانت وراء تُمكُّن العُمانيين من زراعة أنواع المحاصيل التي ذكرناها سابقاً، على الرغم من الصعوبات التي واجهتهم؛ بسبب: طبيعة عُمان الصحراوية، وحرارة الجو، وكثرة الحشرات التي قد تؤدي إلى إتلاف الزرع وتخريبه، ومن تلك العوامل

الناس والزراعة؛ ركز بعض الرحالة والجغرافيين عليها، وراح بعضهم يصفها، مثلما ذكر ابن الفقيه⁽¹⁵²⁾ الذي وصف أجواء عُمان، بقوله: « حرّها شديد »، وابن حوقل⁽¹⁵³⁾ الذي قال عنها: « وعُمان بلاد حارة جرومية ».

ومما لا يدع مجالاً للشك، أن الارتفاع الشديد في حرارة أجواء عُمان كان سبباً في معاناة كثير من أهلها، بعد أن تسبب ذلك في تكدر الجو، وسخونة الماء، وانتشار أنواع الحشرات الضارة على الإنسان والزرع، وهذا ما يؤكده ابن الفقيه قائلاً⁽¹⁵⁴⁾: « علمت أن البرد أصلح من الحرّ، لأنك إذا أضفت البرد، وهو الجبال إلى ما يقاسيه أهل عُمان، وأهل البصرة، وسيراف، وبغداد من أذى السمائم، من الهواء الكدر الغليظ، والماء السخن الزعاق، وكثرة الذباب، والجعلان، والخنافس، والحيات، والعقارب، والجرارات، والنمل، والبعوض، والبق، والجرجس وغير ذلك مما يطول ذكره ».

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد اشتهرت بلاد عُمان بزراعة أنواع مختلفة من الخضار والفواكه التي بلغ من تنوعها إلى أن يذكرها الرحالة والجغرافيون الذين كتبوا عن عُمان وغيرها من البلاد الإسلامية في ذلك الحين، وقد قدمت لنا وثائق هؤلاء تفاصيل متنوعة عن تلك المحاصيل، لدرجة بلغت ببعضهم مثل المقدسي⁽¹⁵⁵⁾ إلى أن يحدد حتى نسب الزراعة في بعض المناطق والمدن العُمانية، من حيث الكثرة أو القلة، في حين راح غيره إلى التفصيل فيما زرعه العُمانيون في بساتينهم التي انتشرت في الكثير من المدن والقرى والبوادي العُمانية، أما الأصبخري⁽¹⁵⁶⁾ فيقول عن عُمان وما اشتهرت به من محاصيل زراعية: « وعُمان مستقلة بأهلها، وهي كثيرة النخيل، والفواكه الجرومية من الموز، والرمان، والنبق ونحو ذلك ». وهو ما أكده ابن حوقل⁽¹⁵⁷⁾ عند حديثه عن عُمان وما تميزت به زراعياً: « وعُمان ناحية،

اسم الحمديّة، وقد خضعت هذه الأسواق للضرائب التي كانت تأخذها الدولة، علماً بأن عُمان كانت في ضرائبها عشرية، ويورد بعض الرحالة والجغرافيين أن عُمان كغيرها من أقاليم الجزيرة العربية خضعت للعشر في كل شيء، فكان يؤخذ من كل نخلة درهم. وخالصة القول، أن ما قدمه لنا الرحالة والجغرافيون من معلومات يسيرة عن التجارة والزراعة والبحر والأسواق في عُمان خلال القرن الرابع الهجري/ العشر الميلادي وما قبله، شكل مادة مهمة لا يستهان بها، لاسيما وأنها كشفت لنا الغموض الذي اكتنف كثيراً من جوانب حياة الشعب العُماني، وما وصل إليه من تطور ورفق في هذا المضمار الذي كان سبباً في تواصله التجاري والحضاري مع غيره من الشعوب، ومن ثم تأثره وتأثيره في هذه الشعوب، والذي كان سبباً فيما وصل إليه العُمانيون من تطور وازدهار.

◀ الخلاصة:

لقد توصلنا في بحثنا هذا الموسوم ب: « الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد عُمان عند الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي » إلى عدد من النتائج والاستنتاجات التي يمكن حصرها في الآتي:

1 - أن القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي شهد وجود - على ما يبدو - أكبر عدد ممكن من المؤرخين، الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين سخرُوا مؤلفاتهم للتعريف بالبلاد الإسلامية وجغرافيتها، وسكانها، ومساحتها، واقتصادها، ومصادر تميزها، وعلاقاتها الداخلية والخارجية بغيرها من الشعوب، وأثر تلك العلاقات على التطور والرفق الذي شهدته المنطقة.

2 - أن بلاد عُمان كانت من أبرز بلدان المنطقة الإسلامية التي حظيت بعناية واهتمام

التي أسهمت في التطور الزراعي في بلاد عُمان: توافر المياه الجوفية، وحفر الآبار التي كانت سبباً في إحياء تلك الأراضي وريها، وتمكنهم من استخراجها من قاع الأرض، في الكثير من المدن العُمانية، مثل مسقط التي اشتهرت بعدوبة مياه آبارها الجوفية⁽¹⁶³⁾، وقد استخدم أهل عُمان بعض البهائم في استخراج تلك المياه وجرها ونقلها، مثل الأبقار، وقال المقدسي عنها، عند وصفه لطبيعة عُمان الزراعية أن⁽¹⁶⁴⁾: «كلها نخيل وبساتين عامّة، سقيهم من آبار قريبة، ينزعها البقر أكثرها في الجبال».

كما تُبين لنا بعض تلك الوثائق أن العُمانيين اكتسبوا ثروة حيوانية متنوعة، استفادوا منها - على ما يبدو - في مواصلاهم، وحمل أثقالهم، واستخراج مائهم من قاع الأرض، ونقله على ظهورها، كما استفادوا على ما يظهر من لحمها، ولبنها، وجلودها، وقد شكلت الأغنام⁽¹⁶⁵⁾، والأبقار⁽¹⁶⁶⁾ أبرز تلك الثروة التي أوردتها لنا مؤلفات بعض الرحالة والجغرافيين، في حين اشتهرت عُمان بحكم وقوعها على شريط ساحلي طويل بثروتها البحرية الغنية، فعُدَّ صيد سمك البحر واحد من أبرز مصادر الدخل اليومي للكثير من أهل عُمان، الذين استقروا في المناطق الساحلية، وهو ما يؤكده لنا ابن الفقيه⁽¹⁶⁷⁾ عند حديثه عن امتداد الثروة السمكية لعُمان، وأكثر مناطق انتشار الأسماك في السواحل العُمانية، قائلاً: «... ريف الدنيا من السمك ما بين ماهيرويان إلى عُمان».

لقد عُرفت بلاد عُمان بأسواقها الشهيرة التي انتشرت في بعض مدنها الرئيسية، مثل: صحار، ومسقط، ونزوة، والسرّ، وحفيت وغيرها⁽¹⁶⁸⁾، وبيعت في هذه الأسواق أنواع البضائع المحلية والمستوردة التي أوردنا ذكرها سابقاً، وقد استعمل العُمانيون الدينار، في معاملاتهم المالية في هذه الأسواق، وهو عبارة عن ثلاثين درهم، وأطلق على هذه الدراهم في مكة

إلى التوصية لطلاب الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه إلى ضرورة الاستعانة، والاستفادة مما جاء في هذه المؤلفات؛ لأهميته التاريخية في إبراز تاريخ عُمان والمنطقة.

المؤرخين من الرحالة والجغرافيين، الذين أولوها اهتمام خاص في مؤلفاتهم، نتيجة لما تميزت به هذه المنطقة عن غيرها في الكثير من الأمور الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

3 - أن أهمية وثائق ومؤلفات البلدانين من الرحالة والجغرافيين تتجلى في كون بعض مؤلفيها زار الأراضي العُمانية، ودَوَّن مشاهداته، وملاحظاته أثناء هذه الزيارة، ومن ثم يُعد مؤلفه هذا شاهد حي على تاريخ عُمان، لاسيما وأن كاتبه عاش المرحلة، وعاصر أحداثها.

4 - أن وثائق الرحالة والجغرافيين تُعد اليوم من بين أهم مصادر التاريخ العُماني خاصة، وتاريخ البلاد الإسلامية عامة، ومن الصعب على أي باحث في التاريخ أو الجغرافيا أو غيرها أن يكتب عن عُمان دون العودة إليها لما احتوته من كنوز معرفية، وضعتنا أمام الكثير من الحقائق عن طبيعة المنطقة، وحياة سكانها.

5 - أنه على الرغم من محدودية الأخبار التي قدمها لنا بعض الرحالة والجغرافيين عن عُمان في المدة موضوع الدراسة، التي لا يتعدى بعضها الشيء اليسير في المعلومة الذي قد يصل إلى كلمة واحدة، أو عدد من الكلمات، أو الأسطر، لكنه من الصعب على أي باحث أو مؤرخ الاستغناء عن هذه المعلومة أو الحيد عنها؛ لأهميتها التي قد تفتح له الباب على مصرعيه لغيرها من المعلومات التي قد يجدها في غيرها من المؤلفات التاريخية الأخرى.

6 - أن تاريخ عُمان في حاجة اليوم إلى إعادة جمع وتحليل وتدوين وصياغة، وتوثيق معلوماته، بعد الاستعانة بمؤلفات جميع الرحالة والجغرافيين الذين كتبوا عنها عبر العصور، لاسيما وأننا لاحظنا بأن هناك كثيراً من مؤلفات الرحالة الجغرافيين لم يتم العودة إليها في الدراسات الحديثة، وهو ما يدفعنا هنا

الهوامش:

(1) التطيلي، الراي بنيامين بن الراي يونة التطيلي النباري الإسباني (ت: 569هـ)، رحلة بنيامين التطيلي، ط1، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2002م، ص172؛ حاجي خليفة، مصطفى عبد الله (ت: 1067هـ)، كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون، ج2، صححه وطبعه: محمد شريف الدين، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1306هـ / 1941م، ص278.

(2) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: 300هـ)، المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، 1889م، ص60، 192، 193، 248، 251.

(3) صحار: قصبة عمان مما يلي الجبل، وتؤام قصبتهما مما يلي الساحل. وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالآجر والساج كبيرة، ليس في تلك النواحي مثلها، وقيل: إنما سميت بصحار بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي من أهم مدن عُمان لما تميزت به من موقع وثروة زراعية ساعدتها على أن تكون عاصمة لعُمان خلال فترات زمنية مختلفة. للمزيد انظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ج3، ط2، بيروت، دار صادر، 1995م، ص393؛ ويلكسون، جون، صحار تاريخ وحضارة، ط2، عمان، وزارة التراث القومي والثقافي، 1998م، ص6 وما بعدها؛ الغيلاني، سعيد بن محمد، صحار في كتابات الجغرافيين والمؤرخين، بحث منشور في كتاب حصاد ندوة صحار عبر التاريخ، التي أقامها المنتدى الأدبي في صحار في الفترة من 28 إلى

- 29 محرم 1418هـ الموافق 4 إلى 5 يونيو 1997م، ط1، 1412هـ/ 2000م، ص13 - 26.
- (4) مسقط: مدينة عُمانية ساحلية تقع بين جبلين، في آخر بلاد عُمان من جهة الشرق، وترسو فيها السفن، لتستقي من آبارها العذبة. انظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م، ص559.
- (5) السيرافي، أبو زيد الحسن بن يزيد (ت بعد: 330هـ)، أخبار الهند والصين المعروف برحلة ابن السيرافي، أبو ظبي، الجمع الثقافي، 1999م، ص24، 25، 26، 66، 86، 88، 115، 116، 117، 117، 120.
- (6) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص120.
- (7) بزرگ بن شهريار الناخذاة الرام هرمزي (ت: 342هـ/ 953م)، عجائب الهند بره وبحره وجزايره (تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، أبو ظبي، منشورات الجمع الثقافي، 1421هـ/ 2000م، ص108، 109.
- (8) الأصبخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت: 346هـ)، المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، 2004م، ص12، 25، 26، 27، 28، 31 - 32، 227.
- (9) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: 360هـ/ 970م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، ط1، صنعاء، مكتبة الإرشاد، 1410هـ/ 1990م، ص319.
- (10) ابن الفقيه الهمداني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت: 365هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، 1416هـ/ 1996م، ص67، 388.
- (11) انظر: المصدر نفسه، ص67، 72، 86، 87، 93، 144، 164، 170، 182، 239، 311، 388، 405، 483 - 484، 487، 592.
- (12) مزيان: فرضة مدينة ظفار، بينهما خمسة فراسخ، وهي مدينة منفردة لها أسواق، بين حضرموت وعمان، على ساحل البحر، وقربها جبل نحو ثلاثة أيام، فيه شجر اللبان، وهو صمغ يخرج منه يجتنى ويحمل إلى سائر الدنيا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص97؛ الحنبلي، صفحّي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي (ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج3، ط1، بيروت، دار الجيل، 1412هـ، ص1252.
- (13) ظفار: مدينة عظيمة جميلة، محاذة لبلاد اليمن، كانت مثلما يذكر المغربي قاعدة بلاد الشحر وفرضتها، يجلب إليها خيل العرب ومنها يحمل إلى بلاد الهند. انظر: المغربي، ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1970م، ص102؛ فيليبس، وندل، تاريخ عُمان، ترجمة: محمد أحمد عبد الله، ط3، مسقط، وزارة التراث القومي الثقافي، 1409هـ/ 1989م، ص25.
- (14) نزوة: جبل بعمان، عنده عدة قرى واسعة يسمى مجموعها بهذا الاسم، يسكنها قوم من العرب، خوارج أباضية، اشتهرت بعمل صنّف من الثياب منقّمة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل مثلها في بلاد العرب، ومازّر من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص281.
- (15) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلّي (ت: بعد 367هـ)، صورة الأرض، بيروت، دار صادر، 1938م، ص6، 18، 19، 22، 25، 26، 27، 34، 38 - 39، 41، 46، 48، 158، 401.
- (16) مجهول (ت: بعد 372هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، محقق و مترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1423هـ، ص26، 36، 170، 173، 195، 203.
- (17) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي

- البشاري (ت: 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، بيروت، دار صادر، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1991/1411م، ص12، 16 - 17، 18، 35، 68، 70، 87، 92 - 93، 96، 97، 98، 99، 103، 105، 463، 470.
- (18) العزيمي، الحسن بن أحمد المهلي (ت: 380هـ)، الكتاب العزيمي أو المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، د. ن، د. ت، ص25، 138.
- (19) إسحاق بن الحسين المنجم (ت: ق 4هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1408هـ، ص49، 54، 55.
- (20) أحمد بن إسحاق (أبو يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: بعد 292هـ)، البلدان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ، ص211.
- (21) ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص66 - 67؛ مجهول، حدود العالم 173؛ العزيمي، المسالك والممالك، ص25.
- (22) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص120؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص18، 35؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص38.
- (23) السيرافي، المصدر نفسه والصفحة؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص28.
- (24) السيرافي، المصدر نفسه والصفحة؛ الهمداني، المصدر نفسه، ص25؛ ابن الفقيه، البلدان، ص87؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص38.
- (25) الهمداني، المصدر نفسه، ص91، 92، 330؛ العزيمي، المسالك والممالك، ص25؛ ابن الفقيه، المصدر نفسه، ص170.
- (26) ابن حوقل، صورة الأرض، ص38 - 39.
- (27) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص24، 25.
- 26، 115، 116؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص27، 28، 91؛ الاضطخري، المسالك والممالك، ص28؛ ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص67، 592.
- (28) الأحقاف: مفازة رمال رقيقة معروفة في شمال حضرموت، فيما بين عُمان وحضرموت. الأكوغ، البلدان اليمانية، ص19.
- (29) غنيم، عبد الله يوسف، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، الكويت، د. ن، 1981م، ص42.
- (30) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص319.
- (31) المصدر نفسه، ص39، 237.
- (32) أحسن التقاسيم، ص68.
- (33) البلدان، ص388.
- (34) المسالك والممالك، ص248.
- (35) صفة جزيرة العرب، ص39.
- (36) الاضطخري، المسالك والممالك، ص12.
- (37) مهرة: صقع واسع في الشرق من حضرموت. الأكوغ، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، 1408هـ/1988م، ص277.
- (38) البلدان، ج1، ص18.
- (39) مجهول، حدود العالم، ص26، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص17.
- (40) المسالك والممالك، ص193.
- (41) الاضطخري، المسالك والممالك، ص27؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص39.
- (42) صورة الأرض، ج1، ص34.
- (43) ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص39.
- (44) المسالك والممالك، ص26.

- (45) صفة جزيرة العرب، ص 263.
- (46) يبرين: منطقة رملية لا يُدرك أطرافها. الرّبيدي، أبو مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 14، المحقق: مجموعة من المحققين، د. ت، دار الهداية، ص 453. ويبدو أن المقصود بما منطقة الربع الخالي.
- (47) الدهناء: وهي صحراء متداخلة مع الربع الخالي، وتعد من أشهر صحاري العرب. البلادي، المقدم عاتق بن غيث، بين مكة وحضرموت، رحلات ومشاهدات، ط 1، مكة المكرمة، دار مكة، 1402هـ / 1982م، ص 165.
- (48) المسالك والممالك، ص 27.
- (49) صورة الأرض، ج 1، ص 41.
- (50) المصدر نفسه والجزء، ص 401.
- (51) المسالك والممالك، ص 25.
- (52) أحسن التقاسيم، ص 93.
- (53) المصدر نفسه، ص 93. وانظر: ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص 60.
- (54) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 90 - 91.
- (55) صورة الأرض، ج 1، ص 38.
- (56) سوف يتم الحديث والتعريف بتلك المدن لاحقاً.
- (57) أحسن التقاسيم، ص 92 - 93.
- (58) عبارة عجبية ويبدو أنها دخيلة على النص.
- (59) المسالك والممالك، ص 25.
- (60) صفة جزيرة العرب، ص 237.
- (61) صورة الأرض، ج 1، ص 38.
- (62) أحسن التقاسيم، ص 70.
- (63) المسالك والممالك، ص 25.
- (64) أحسن التقاسيم، ص 93.
- (65) المصدر نفسه، ص 70.
- (66) صفة جزيرة العرب، ص 26.
- (67) يذكر السمعاني أن الشراة هم الخوارج. انظر: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت: 562هـ)، الأنساب، ج 8، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط 1، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1382هـ / 1962م، ص 13.
- (68) أحسن التقاسيم، ص 53، 71، 93.
- (69) للمزيد من التفاصيل عن تلك المناطق انظر: العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية، ط 1، لندن، دار الحكمة، 1420هـ / 1999م، ص 77 - 91.
- (70) أخبار الهند والصين، ص 25.
- (71) البلدان، ص 67.
- (72) أحسن التقاسيم، ص 93.
- (73) صورة الأرض، ج 1، ص 39.
- (74) ابن حوقل، صورة الأرض، ج 1، ص 38.
- (75) صفة جزيرة العرب، ص 92.
- (76) حاسك: مدينة عُمانية ساحلية لها مرسى للسفن، تسكنها قبائل عربية، يعمل أفرادها في صيد السمك، وتمتاز مناطقهم بوجود شجرة الكندر (اللبان). ابن بطوطة، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت: 779هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ج 2، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ، ص 130.
- (77) انظر: الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، عُمان ثقافياً في عين الهمداني (لسان اليمن) (توفي بين 350 و 360هـ / 960 و 970م)، بحث منشور في كتاب الندوة الدولية ” التبادل الحضاري العُماني اليمني ”، مج 1، مسقط، مطبعة جامعة السلطان قابوس، 2011م، ص 118.

- (78) صفة جزيرة العرب، ص91، 330.
- (79) البلدان، ص170.
- (80) المسالك والممالك، ص25.
- (81) ابن السائب الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد (ت: 204هـ)، نسب معد واليمن الكبير، ج2، المحقق: الدكتور ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1408هـ / 1988م، ص508. بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983/1403م، ص373.
- (82) صفة جزيرة العرب، ص328.
- (83) كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، ط7، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ / 1994م، ص16.
- (84) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص91، 330؛ ابن الفقيه، البلدان، ص170؛ العزيزي، لمسالك والممالك، ص25.
- (85) صفة جزيرة العرب، ص330.
- (86) المصدر نفسه، ص91.
- (87) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: 487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1403هـ، ص46.
- (88) عُمان ثقافياً في عين الهمداني، ص121، وهامش رقم (199).
- (89) المسالك والممالك، ص25 - 26.
- (90) كحالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص947.
- (91) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ)، أنساب الأشراف، ج1، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1، بيروت، دار الفكر، 1417هـ / 1996م، ص46.
- (92) أحسن التقاسيم، ص93.
- (93) المصدر نفسه، ص96.
- (94) فرقة من البهرة الإسماعيلية، تنسب إلى الداعية داود بن قطب شاه، رابع الدعاة الذين استدعوا من اليمن لنقل الدعوة إلى الهند، وقد تسلم الدعوة من الداعية داود بن عجب شاه وهو الذي أطاعه البهرة في الهند، ولهذا سموا بالداودية، وهم السواد الأعظم من هذه الطائفة، ومركزهم مدينة سورت في إقليم كجرات. انظر: نداوي، أبو ظفر، عقد الجواهر في أحوال البواهر، كراتشي، دون دار نشر، 1936م، ص104 - 105.
- (95) للمزيد من التفاصيل عن قبائل الأزدي وغيرها من القبائل التي سكنت عُمان، انظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أهل عُمان، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، 1400هـ / 1980م، ص15 - 26.
- (96) ريسوت: بلدة على البحر شرق حضرموت. الأكوغ، البلدان اليمانية، ص136.
- (97) صفة جزيرة العرب، ص90.
- (98) المصدر نفسه، ص91.
- (99) المصدر نفسه، ص92.
- (100) المسالك والممالك، ص25 - 26؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص38.
- (101) أحسن التقاسيم، ص93.
- (102) صفة جزيرة العرب، ص91 - 92.
- (103) المصدر نفسه، ص92.
- (104) البياسرة: قوم من السند، وقيل الهند، يستأجرهم النواخذة أهل السفن لحرب عدوهم، وهم عرب موالدة من أب عربي وأم هندية. انظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10،

- تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت، ص 176 - 177؛ المباركيوري، القاضي أظهر مباركيوري الهندي، العرب والهند في عهد الرسالة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، ص 78، 79.
- (105) بنو عدس: بطن من بني دارم بن تميم من العدنانية. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: 821هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبنانيين، 1400هـ / 1980م، ص 352. ويبدو أنهم من أحياء العرب التي ذكرها الهمداني.
- (106) المسالك والممالك، ص 25 - 26.
- (107) هو الخليفة أبو العباس المعتضد بالله، أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي (242 - 289هـ). للمزيد انظر: ابن قأباز، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قأباز الذهبي (ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، ج10، القاهرة، دار الحديث، 1427هـ/ 2006م، ص 480 - 486؛ ابن شاکر، صلاح الدين محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون (ت: 764هـ)، فوات الوفيات، ج1، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973م، ص 72.
- (108) المسالك والممالك، ص 26. وانظر ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص 38 - 39.
- (109) أحسن التقاسيم، ص 35.
- (110) حدود العالم، ص 173.
- (111) المسالك والممالك، ص 25. وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص 38.
- (112) صورة الأرض، ص 83.
- (113) أحسن التقاسيم، ص 92.
- (114) أخبار الهند والصين، ص 25.
- (115) المصدر نفسه، ص 26.
- (116) البلدان، ص 67.
- (117) أحسن التقاسيم، ص 93.
- (118) المسالك والممالك، ص 25.
- (119) سيراف: مدينة كبيرة حارة، طيبة الهواء، يجتمع بها التجار، وهي فرضة فارس. حدود العالم، ص 145.
- (120) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص 24.
- (121) مجهول، ص 203.
- (122) أخبار الهند والصين، ص 24.
- (123) البلدان، ص 66.
- (124) عجائب الهند، ص 128.
- (125) أحسن التقاسيم، ص 97.
- (126) أخبار الهند والصين، ص 86.
- (127) عجائب الهند، ص 107، 108.
- (128) أخبار الهند والصين، ص 66.
- (129) المسالك والممالك، ص 154.
- (130) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص 86.
- (131) المصدر نفسه، ص 24.
- (132) ابن الفقيه، البلدان، ص 67.
- (133) أخبار الهند والصين، ص 25.
- (134) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص 60.
- (135) عجائب الهند، ص 86، 126، 144، 152.
- (136) أخبار الهند والصين، ص 120.
- (137) بزرک، عجائب الهند، ص 132؛ الأصبخري، المسالك والممالك، ص 31 - 32؛
- (138) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 88.
- (139) السيرافي، أخبار الهند والصين، ص 120.
- (140) أخبار الهند والصين، ص 116.

- (141) مجهول، ص173.
- (142) عجائب الهند، ص108، 109.
- (143) هو الخليفة المقتدر بالله، أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله الهاشمي، العباسي، البغدادي، بويغ بعد أخيه المكتفي في سنة 295هـ، وظل يحكم حتى مات مقتولاً في سنة 320هـ. انظر: ابن قايماز، سير أعلام النبلاء، ج11، ص369 - 370؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج1، ص284 - 285.
- (144) أحسن التقاسيم، ص18.
- (145) ابن حوقل، صورة الأرض، ص39. والمرحلة مثلما يقول نشوان الحميري: هي مسيرة يوم. انظر: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج4، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإيراني، ود. يوسف محمد عبد الله، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1420هـ/ 1999م، ص2448.
- (146) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص60. يقول ابن منظور الفرسخ ثلاثة أميال. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، ج3، ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ، ص44، ج11، ص639.
- (147) الأصبخري، المسالك والممالك، ص27. الميل ثلث الفرسخ، أربعة آلاف ذراع، طولها أربعة وعشرون أصبعاً، وعرض كل أصبع ست حبات شعير ملصقا. انظر: نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (ت: ق 12هـ)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج3، ط1، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ / 2000م، ص269.
- (148) أخبار الهند والصين، ص25، 26.
- (149) صفة جزيرة العرب، ص90 - 91.
- (150) المسالك والممالك، ص27.
- (151) انظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص60.
- (152) البلدان، ص144، 484.
- (153) صورة الأرض، ج1، ص39.
- (154) ابن الفقيه، البلدان، ص483 - 484.
- (155) أحسن التقاسيم، ص93.
- (156) المسالك والممالك، ص25.
- (157) صورة الأرض، ج1، ص38.
- (158) أحسن التقاسيم، ص93.
- (159) صفة بلاد العرب، ص319.
- (160) البلدان، ص87.
- (161) أحسن التقاسيم، ص470.
- (162) المصدر نفسه، ص92 - 93.
- (163) السيراني، أخبار الهند والصين، ص26.
- (164) أحسن التقاسيم، ص93.
- (165) السيراني، أخبار الهند والصين، ص26. وانظر: ابن الفقيه، البلدان، ص67.
- (166) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص93.
- (167) البلدان، ص164، 182.
- (168) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص93.